

## لماذا نتفلسف؟

## دراسة تحليلية نقدية لقيمة الفلسفة عند لورانس فانين - فيرنا

أ.م. د/ دعاء محمد عبد النظير حماد

أستاذ مساعد الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب . جامعة الإسكندرية

الملخص باللغة العربية:

لماذا نتفلسف؟ وما قيمة الفلسفة؟ تلك هي المهمة التي أخذت لورانس فانين - فيرنا على عاتقها مهمة الدفاع عنها، والتأكيد على أهميتها، خاصة بعد أن أصبحت مهمة الدفاع عن أهمية الفلسفة وقيمة التفلسف ضرورية في وقتنا الراهن. إن لورانس فانين - فيرنا هي الفيلسوفة الفرنسية المعاصرة، وأستاذة الفلسفة التي تشاطرنا شغفها بالفلسفة، تعطي دروسها ببراعة خلال المحاضرات والدراسات الفلسفية التي تديرها في جامعة الوقت الحر بمدينة طولون. كما أنها حريصة على جعل الفلسفة في متناول الجميع، فهي تنشط كذلك في عدة منتديات، ولا تتردد في الخروج من المدرجات الجامعية لكي تلتقي بقرائها وتشاطرهم تأملاتها الفلسفية على نطاق واسع. تعالج لورانس فانين المباحث الكبرى للفلسفة، الفكر والفعل، بالطريقة التي تدفع القارئ لأن يتساءل مع الكاتبة: لِمَ الفلسفة؟ ومتى الفلسفة؟ تتوجه هذه المحاولة بأبعادها لأولئك الذين يريدون اكتشاف الفلسفة وإعادة اللقاء بها. وتقدم لورانس فانين مصاحبتهم في هذا الطريق الذي يؤدي إلى سعادة التأمل. هذا وتهتم لورانس فانين بالممارسة الفلسفية ولذلك لقيمتها في اكتشاف الذات واكتشاف الحقيقة في التاريخ، وفي باطن كل واحد منا بالأدوات الاستفهامية والتعجبية (لماذا؟) والبحث عن الأسباب والعلل (كيف؟) والمبتغية للغاية (لأي غرض؟). ولذا ترى لورانس فانين أن غاية الفلسفة في ذاتها، في تكوين الإنسان، في تنقيفه، في حثه على الانتباه إلى العالم وإلى الآخرين. ترى لورانس فانين أن الفلسفة تعلم الضبط الفكري للمفاهيم والانضباط الأخلاقي للذات، تعلم كيف يشتغل المرء على ذاته، كيف يكملها بما

نقص فيها من فضائل. ولذا يكون التفلسف من أجل الفكر، ومن أجل بلوغ المعرفة ومحبة الحكمة، من أجل البعد عن الانفعالات والتصرف وفق العقل. فالفلسفة تجعل الإنسان ينخرط في الوجود، كما أن الفلسفة عملية، أي أنها ممارسة توجه أفعالنا وترشد سلوكياتنا.

الكلمات المفتاحية:

لورانس فانين فيرنا - الإنسان المهموم - العين والروح - قيمة التفلسف - الدهشة -  
 أنطولوجيا الذات - الأنا المتجسد والعالم - الكينونة - الانفتاح - المشاركة بين الذات -  
 الحرية - الوعي - الوجود - الجسد والروح - الفن - الأخلاق - السكينة - الصداقة -  
 الوعي المتمرد - الإرادة - العلاج الفلسفي.

Abstract in English:

Why do we philosophize? And what is the value of philosophy? This is the task that Laurence Vanin-Verna has taken upon herself to defend and emphasize its importance, especially after the task of defending the importance of philosophy and the value of philosophizing has become necessary in our current time. Laurence Vanin-Verna is a contemporary French philosopher and professor of philosophy who shares our passion for philosophy. She gives her lessons with brilliance during the lectures and philosophical studies that she runs at the Free Time University in Toulon. She is also keen to make philosophy accessible to everyone. She is also active in several forums, and does not hesitate to leave the university lecture halls to meet her readers and share her philosophical reflections with them on a wide scale. Laurence Vanin deals with the major topics of philosophy, thought and action, in a way that prompts the reader to ask with the writer: Why philosophy? And when is philosophy? This attempt, with its dimensions, is directed to those who want to discover philosophy and re-encounter it. Lawrence Vanin suggests accompanying them on this path that leads to the happiness of contemplation. Lawrence Vanin is interested in the philosophical practice because of its value in discovering the self and discovering the truth in history, and in the interior of each one of us with interrogative and exclamatory tools (why?) and searching for reasons and causes (how?) and the

desired goal (for what purpose?). Therefore, Lawrence Vanin believes that the goal of philosophy in itself is to form the human being, to educate him, to urge him to pay attention to the world and to others. Lawrence Vanin believes that philosophy teaches the intellectual control of concepts and the moral discipline of the self, teaches how one works on oneself, how to complete it with the virtues it lacks. Therefore, philosophizing is for the sake of thought, and for the sake of attaining knowledge and the love of wisdom, in order to stay away from emotions and act according to reason. Philosophy makes the human being engage in existence, and philosophy is practical, meaning it is a practice that directs our actions and guides our behaviors.

Keywords:

Lawrence Vanin Verna – The Concerned Man – The Eye and the Soul – The Value of Philosophy – Wonder – The Ontology of the Self – The Embodied Ego and the World – Being – Openness – Intersubjectivity – Freedom – Consciousness – Existence – Body and Soul – Art – Ethics – Tranquility – Friendship – Rebellious Consciousness – Will – Philosophical Therapy.

المقدمة:

لماذا نتفلسف؟ وما قيمة الفلسفة؟ تلك هي المهمة التي أخذت لورانس فانين - فيرنا على عاتقها مهمة الدفاع عنها، والتأكيد على أهميتها، خاصة بعد أن أصبحت مهمة الدفاع عن أهمية الفلسفة وقيمة التفلسف ضرورية في وقتنا الراهن.

إن لورانس فانين - فيرنا هي الفيلسوفة الفرنسية المعاصرة، وأستاذة الفلسفة التي تشاطرنا شغفها بالفلسفة، تعطي دروسها ببراعة خلال المحاضرات والدراسات الفلسفية التي تديرها في جامعة الوقت الحر بمدينة طولون. كما أنها حريصة على جعل الفلسفة في متناول الجميع، فهي تتشط كذلك في عدة منتديات، ولا تتردد في الخروج من المدرجات الجامعية لكي تلتقي بقرائها وتشاطرهم تأملاتها الفلسفية على نطاق واسع.

تعالج لورانس فانين المباحث الكبرى للفلسفة، الفكر والفعل، بالطريقة التي تدفع القارئ لأن يتساءل مع الكاتبة: لِمَ الفلسفة؟ ومتى الفلسفة؟ تتوجه هذه المحاولة بأبعادها

لأولئك الذين يريدون اكتشاف الفلسفة وإعادة اللقاء بها. وتقترح لورانس قانين مصاحبهم في هذا الطريق الذي يؤدي إلى سعادة التأمل.

هذا وتهتم لورانس قانين بالممارسة الفلسفية ولذلك لقيمتها في اكتشاف الذات واكتشاف الحقيقة في التاريخ، وفي باطن كل واحد منا بالأدوات الاستفهامية والتعجبية (لماذا؟) والبحث عن الأسباب والعلل (كيف؟) والمبتغية للغاية (لأي غرض؟). ولذا ترى لورانس قانين أن غاية الفلسفة في ذاتها، في تكوين الإنسان، في تثقيفه، في حثه على الانتباه إلى العالم وإلى الآخرين.

ترى لورانس قانين أن الفلسفة تعلم الضبط الفكري للمفاهيم والانضباط الأخلاقي للذات، تعلم كيف يشتغل المرء على ذاته، كيف يكملها بما نقص فيها من فضائل. ولذا يكون التفلسف من أجل الفكر، ومن أجل بلوغ المعرفة ومحبة الحكمة، من أجل البعد عن الانفعالات والتصرف وفق العقل. فالفلسفة تجعل الإنسان ينخرط في الوجود، كما أن الفلسفة عملية، أي أنها ممارسة توجه أفعالنا وترشد سلوكياتنا.

تكشف لورانس قانين عن قدر كبير من الأصالة، فهي تتكبد على مخطط بناء جديد، ففي الوقت الذي تعرض لنا فيه أهمية الفلسفة عند سقراط (Socrates ٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م) وأفلاطون (Plato ٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م)، وقيمة الوعي عند ميرلوبونتي (Maurice Merleau-Ponty ١٩٠٨ - ١٩٦١م)، وقيمة الحرية عند كامى (Albert Camus ١٩١٣ - ١٩٦٠) وسارتر (Jean Paul Sartre ١٩٠٥ - ١٩٨٠)، وقيمة الفلسفة كعلاج عند الإبيقورية Epicureanism والرواقية Stoicism، إلا أن آراءها فيها من الأصالة ما يحاول تأسيس فينومينولوجيا Phenomenology فعلية وأنطولوجيا Ontology يجتمع فيها إدراك الكينونة في الغير، والعمل على مقارنة الكينونة في الغيرية. ولذا فإن لورانس قانين ليست مجرد ناقلة لهذا الفكر، وإنما تدعونا لأن نتسلق قمم هذا الفكر الثري والأصيل، وذلك من أجل إدراك أهمية ذلك الفكر من ناحية. ومن أجل تفعيل الفلسفة عملياً في الحياة، وصولاً إلى حياة أفضل من ناحية ثانية، ولذا نسمي الفلسفة العملية التطبيقية بـ "التفلسف"، محاولين التأكيد على دور الفلسفة العملي والفعال في حياتنا المعاصرة.

تتناول لورانس قانين عدة قضايا تتعلق بالإنسان ومنها الصداقة والحرية والوعي والوجود وتناقش كل ذلك من خلال علاقة ذلك بأهمية الفلسفة التطبيقية والعملية في حياتنا، فتغدو الفلسفة من أجل الفعل وليس فقط من أجل يقظة الفكر.

تشعرنا لورانس قانين بوجاهة أقوالها وبالوضوح الذي تفتح به حقل المعرفة للتعاليم الفلسفية الكبرى بشأن الإحساس وإدراك العالم. تعيد لورانس قانين ببراعة تجنيد الخطوط العريضة للإشكاليات المتعلقة بالحس والروح: ما هي الرؤية؟ ما معنى العيش والإحساس؟ فهي تبين إلى أي مدى يُكتسب القصد، بوصفه ما يستهدفه الروح. كما أن ما يثير الاهتمام هنا هو أن لورانس قانين تفتح أبواب الاستبطان وأنوار القلب انطلاقاً من العين ومن الفكر المعيش من الداخل، مما يسمح للروح والقلب باستنارة جديدة، مرتبطة بواقع حياتنا المعاصرة، وطبقاً لرؤية لورانس قانين، بجعل الفلسفة في متناول الجميع.

توضح لنا لورانس قانين أهمية الفلسفة، وذلك من خلال توضيح قيمة التفلسف. إذ تعرض لنا لورانس قانين أنه يجب أن نتعلم أن الفلسفة وببساطة تستطيع مساعدتنا على العيش بشكل أفضل وأكثر حرية، إذ إننا نتفلسف لنحمي أنفسنا، ليس لفهم العالم فقط، ولكن لفهم المخاوف التي تشكل الحياة. إنها تثير أهمية الإعداد للفكر النقدي والاستقلالية والحرية. كما تؤكد أن قيمة الفلسفة الحقيقية هي تعلم رؤية العالم من جديد، وكذلك رؤية الإنسان لنفسه من جديد. نفهم إذن ضرورة إجراء تحول في النظر. سعيد من لا ينظر في الاتجاه نفسه، من يتحول بنظره عن الرؤية العامة، من يُحسن إحباط الوهم، ويتوجه نحو الظفر بالمعرفة.

إن التفلسف هو رغبة في المعرفة بما تقتضيه المعرفة من الجدية ويقظة العقول، والوصول للحقيقة، كما أن التفلسف يقتضي الفهم من أجل التعلم والمعرفة القائمة على الذوق والإدراك، وتخلص أفكارنا من الانفعالات والأفكار الخاطئة التي تعمل على تشويهها. فلا يكفي أن يكون للمرء عقل، بل المهم هو أن نحسن استخدامه (كما يرى ديكارت) René Descartes (١٥٩٦ - ١٦٥٠)، حيث يذكرنا ديكارت بأن العيش بدون التفلسف هو إبقاء العيون مغلقة دون محاولة فتحها، إذ يجب تحويل النظر نحو الذات، والنزول عمقاً في شخصيتنا من أجل اكتشاف فكرة من نحن.

تتيح الفلسفة للإنسان بأن يعي حدوده، وأن يتحرر من عيوبه، ويطور خصاله، وهو يسعى لمعرفة نفسه بناء على ما قاله سقراط "اعرف نفسك بنفسك".

هذه هي الفلسفة بالضبط! فلسفة في تكوين الإنسان، في تكمله بالفضائل والقيم والعمل من أجل نتائج يرضى عنها ويجني بها السعادة. فمن يقرأ النصوص الفلسفية التي جابت التاريخ ووصلت إلينا، يُدرك بشكل بارز الطابع التكويني للفلسفة التي تعلم أن كيفية النجاح مثل النجاح نفسه، تعلم الاستعمال السديد والوجيه للوسائل المؤدية للنجاح، باستعمال العقل والحكم والنقد، والحصافة والتبصر. لأن الوصول إلى النتيجة والظفر بالنجاح مرهون بسلامة الوسائل المؤدية إلى ذلك. فلا ننتظر أن تكفل جهودنا بالنجاح إذا لم نحضر أنفسنا لذلك، إذا لم نكن صادقين مع ذاتنا، وإذا لم نقادى الغش والخداع لاختصار الأزمنة والمسافات والوصول إلى النجاح بسرعة. عواقب هذا السلوك وخيمة، لأنها غير طبيعية وتترتب عليها نتائج خطيرة على المستوى الأخلاقي والاجتماعي.

تضع لورانس قانين الأخلاق في صلب ثلاثية رئيسية: العقل، العاطفة، الوجود، بشكل يربط بينهم جميعاً، وتتكلم من واقع أنطولوجي وفينومينولوجي مما يجعل الحديث بمنطق التداخل، فكما في العقل "عاطفة"، ففي العاطفة "عقل"، وكما يجد الأنا "الوجود" عنده حساً وشعوراً ووجداناً، يجد الوجود "الأنا" عنده مثلاً وحياءً ورمزاً. ثم تعود لورانس قانين لهذه الأنطولوجيا والفينومينولوجيا إلى المنسي من الفلسفة المعاصرة، وهو تداخل الأنتروبولوجيا والكوزمولوجيا، أو تبديل الإنسان "عالمًا صغيرًا" بالعالم الكبير. فقد رأت لورانس قانين أن المنسي في الفلسفة هو هذه الصلة الوثيقة بين الإنسان والكون التي تم حجبها. فالإنسان هو امتداد للكون الفسيح. والكون يمدّه بمقومات وجوده الكوزمولوجي. والمصطلحات الفلسفية المتداولة بالاشتغال عليها وفق هذا الإنسان بالزمان والبيئة أو العالم المحيط.

كما تتقلنا لورانس قانين إلى وضع جديد من التفلسف هو النظر للفلسفة بصفقتها ممارسة علاجية تعالج اضطرابات الأنا وأهوال الوجود من العبث. من شأن الفلسفة إذن أن تعالج الأسقام النفسية والوجودية والروحية وتملاً النفوس التائهة والجائرة والمهمومة بعزاء البحث عن بدائل حتى تصل للعيش الرغيد. وبناء على ذلك تعبر لورانس قانين بأنه

كان عليها أن تقدم قيمة الفلسفة من خلال ما تقدمه الفلسفة من حلول لمعالجة الإحباط ومعضلة المفاهيم، وذلك بعدم الاستسلام للتشاؤم أمام التحولات والأزمات. كما أن من المهم إعادة التفكير في الذاتية الفاعلة وتأكيد الأنتولوجي (الوجودي)، والفرد يساهم في ثراء هذا الإنتاج، ويشارك في العالم، وكل إنسان في موقعه في أنتولوجيا وفينومينولوجيا الانفتاح.

وعلى هذا يمكن أن نعد الفلسفة علاجًا لأنها تشفي من عبثية الوجود، كما تقترح الفلسفة مجموعة من المبادئ في شكل علاجات، وغالبًا ما كان الفلاسفة يقومون مقام أطباء النفوس. لهذا جاءت الفلسفة كطريقة علاجية تساعد على تغيير نمط التفكير وخاصة لمداداة الجزع والقلق والاضطراب العاطفي والانفعال، ودور كل ما من شأنه أن يعكر صفو الانتباه والتركيز على الذات. ولذا كان الدور الأساسي الذي تسهم به لورانس قانين هو الدعوة إلى ممارسة الفلسفة والتدريب على التفكير من أجل العيش الأفضل. فما يهم الشباب هو اقتناء ثقافة صلبة، لأن تدريس الفلسفة من شأنه أن يساهم في الازدهار والشخص لكل فرد في كل ممارسة عملية، وذلك بتطبيق التعاليم الفلسفية، ومن هنا يمكن للإنسان أن يضع بينه وبين الانفعالات مسافة معتبرة.

إشكالية البحث:

إن إشكالية البحث الأساسية عند لورانس قانين هي: كيف نحل المشكلات الفلسفية بحسن تغيير الرؤية في الموضوعات التي نعالجها؛ إذ إن التغيير لا يعني تغيير العالم ذاته. وإنما اكتشاف زوايا جديدة في النظر تتيح لنا حُسن الرؤية إلى العالم من أجل فهمه بشكل أفضل ومقارنته ثم التأثير فيه بشكل أفضل. وكيف تفضل لورانس قانين أن تدرس الفلسفة في إطار مسار دينامي روحي. وكيف تهتم المعرفة الأخلاقية بدراسة الجسد والعلاقة بالآخر، ثم المعرفة الجمالية واستعمال الرؤية في الحكم الأخلاقي، وهذا ما تسميه لورانس قانين بالانتقال من العين إلى الروح. وكيف تدرك لورانس قانين أن السلوك الفكري يقتضي مجاوزة العقل عندما نصل إلى المجال الروحي وهو العلاقة بالآخر والفن والألوهية، وكيف يكون دور الفلسفة فعالاً في حياتنا المعاصرة، بحيث تصبح فلسفة علاجية للإنسان المهموم المثقل بآلية العصر، والذي يحتاج لتوجيه كينونته وتغيير

مفاهيمه من أجل عيش أفضل، وحياة لا يعكر صفوها القلق والجزع والاضطراب والانفعال. وكيف تكون الفلسفة وثيقة الصلة بالحياة، وفيما تساعد الإنسان على الحصول على عيش رغيد.

تساؤلات البحث:

١- لماذا نتفلسف؟!

٢- كيف تكون الفلسفة وثيقة الصلة بالحياة؟

٣- كيف تحث الفلسفة على الاستعمال السديد للعقل، كما توضح لورانس قانونين؟

٤- ما الهدف من الممارسة الفلسفية عند لورانس قانونين؟

٥- كيف تكون الحرية هي أصل الأخلاق عند لورانس قانونين وما دور الفلسفة في ذلك؟

٦- ما معنى الرؤية بعين الروح؟

٧- كيف تكون الفلسفة علاجاً نحو عيش أفضل؟

منهج البحث:

هو المنهج التحليلي النقدي.

محتويات البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وخمسة عناصر أساسية وخاتمة ونتائج البحث، وقائمة

للمصادر والمراجع.

عناصر البحث:

أولاً: الدهشة (التفلسف من أجل الفكر).

ثانياً: قيمة التفلسف.

ثالثاً: الوعي وإدراك الذات والعالم.

رابعاً: الحرية (التفلسف من أجل فعل الكينونة).

خامساً: قيمة الفلسفة .. والعلاج الفلسفي.



## أولاً: الدهشة (التفلسف من أجل الفكر)

أ- الدهشة والفضول الفكري:

يبدو أن التفلسف يبدأ مع فعل التساؤل، وتوضح لورانس قانين - فيرنا كيف كان ميلاد الفلسفة يتميز بفعل الدهشة عند اليونان، فلم تكن دهشة ساذجة، بل كانت دهشة تشجع على الفضول الفكري والتأمل. وكان الأمر يتعلق في البداية بالتساؤل حول الظواهر والعمل على فهمها. وإذا كانت الفلسفة قد ارتبطت منذ البداية، في العصر القديم، بالشعائر وبالأسطورة، ومن ثم بنوع من الاعتقاد، فإنها انفكت عن ذلك. غير أن سؤال أصل العالم كان حاضرًا بقوة عن: لماذا يوجد البشر والأشياء والعالم؟ حيث كان الانشغال الفلسفي الأولي يريد معرفة الطبيعة ومختلف مبادئها وفهمها. فهو يخص العلة الأولى لكل شيء، ويتساءل بشأنها<sup>(١)</sup>.

يجسد هذا الفضول الفكري شبابًا حقيقيًا للفكر. إنها طفولة الإنسان الذي ينتبه ويتساءل بمرح ويذهب إلى حد التساؤل حول السؤال نفسه. فهو يرى ويلمس ويستشق العالم كما لو كان حقيقة اكتشافات، حيث ترمز هذه اللحظة إلى فضول بسيط وسار، وتشير إلى أصالة الوعي. تفتقد هذه الأصالة بمقدار تعزز النزعات الاصطناعية والفردانية وانتشارهما السرعة في مجتمعاتنا اليوم، وترفعان بذلك تكييفنا<sup>(٢)</sup>.

على الخلاف من اللامبالاة التي تجعل منا كائنات معزولة عن الجديد، وعلامة على عدم الاهتمام، فالدهشة هي الإصابة بالذهول والقدرة على أن تفاجأ. تقودنا الدهشة نحو ما يُذهل ويحرض فكرنا من أجل تفضيل سلوك فكري نقدي. حيث تدل الدهشة على سلوك من التساؤلات نستطلع بها الوعي على العالم. فالشخص الذي يتساءل هو الذي يعي بجعله، ويشكل هذا الأمر عتبة أولية نحو طريق المعرفة. فقط لأن الشخص الذي لا يعرف بأنه يجهد أشياء، لا يسعى إلى التحرر من هذا القيد. كما أن الدهشة هي التي دفعت المفكرين الأوائل إلى التأملات الفلسفية؛ لأن موضوعها هو الظاهرة التي تفاجئنا

(١) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ترجمة: محمد شوقي الزين، دار الروافد

الثقافية، ط١، ٢٠٢١، ص ص ٢٩، ٣٠.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ٤١.

وتدعونا إلى التفكير في "ماذا الأمور هي هكذا؟". فالتساؤل هو المشاركة في يقظة الفكر<sup>(١)</sup>.

إن الفلسفة الغربية تبدو كأنها تنشأ عن دهشة أفلاطون ، من إدانة المدنية لسقراط ، والحكم عليه بالموت. ويتساءل أفلاطون: لِمَ لم يكن سقراط مفهوماً؟ ولِمَ كان هذا الإنسان الذي لم يسيئ لأحد فضلاً عن أنه مواطن طيب وشجاع، يكتفي بدعوة الناس إلى معرفة أنفسهم، ويكتفي بإرجاع العالم إلى العقل الذي أنشأه، نقول: لِمَ أدين هذا الرجل؟ ويشعر الإنسان جيداً عندما يقرأ أفلاطون، أنه يرى ما حدث، وكأنه فضيحة حقيقية. غير أن هذه الفضيحة لم تكن دوماً بهذا العنف في كل الأحوال. كما كان الأمر مع موت سقراط. إلا أنها تبقى وتتكرر، بنسبة ما يكون الفيلسوف حزيناً، في ملاحظة أن الحقائق التي يرى أنها تحاط بمثل هذا العناء والاحتقار، هي نفسها التي يجب أن تفرض نفسها على كل ضمير نزيه. وهكذا فإن صوت سقراط الذي خنقته المدينة، ما زال في عقولنا، كنداء عاطفي من أجل التمازج مع الناس في كل العصور، ونقصد هنا التمازج الفلسفي<sup>(٢)</sup>.

ب- الدهشة والتوجه نحو المعرفة:

توضح لورانس قانونين أن الدهشة هي التوجه نحو المعرفة. باندهاشي أعني بجهلي. أسعى نحو المعرفة فقط لأعرف، وليس لألبي مطلباً عادياً. ومن ثم فالتفلسف هو اليقظة الفكرية<sup>(٣)</sup>. وإذا كانت المعرفة تبدأ بالإحساس، ينبغي إذن تحليلها والحكم عليها بالفهم، لبلوغ الفهم الخالص بعد ذلك، أي الفكرة التي يشكلها العقل. إذن يتعلق الأمر بالخروج من الكهف الذي تحدث عنه أفلاطون، ومغادرة عالم المظاهر والظنون للتأمل في الحقيقة، لأن الظن لا يقاوم طويلاً امتحان النقد. ومن ثم ينبغي العمل الشاق في التحقق لإثبات مضامينه أو رفضها<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ص ٤١، ٤٢.

(٢) فريناند ألكيه: معنى الفلسفة، ترجمة: حافظ الجمالي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩، ص ٣٦.

(٣) لورانس قانونين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ص ٤٢، ٤٣.



أخذ الحكمة تملكاً لمعرفة ما، وهذه المعرفة تخص الكائن العاقل. وهذا يعني أن الفيلسوف هو صديق الحكمة وبيذل الجهد في حيازتها<sup>(١)</sup>.

ولكن .. كيف ندرك هذه الحكمة؟

من الناحية النظرية، فإن هذه الحكمة تعني المعرفة والعلم والبحث عن الحقيقة. ومن الناحية العملية، فإنها تحيل إلى سلوك الحكيم المعتدل والرزين. حيث يدل الفيلسوف على الشخص الذي بحوزته المعرفة، ويُحسِن ضبط نفسه في كل الأحوال. يستعمل فكره ليتصرف بصواب وكشخص خيّر، لأن التجربة تدل على أن الحكيم يحب قيم الحق، الجميل، العادل، الاعتدال، الخير، وبتلك القيم يكمل ذاته. كما يتميز الحكيم بفكر شغوف ودينامي ومجتهد لكي يصل إلى هذا المقام. وعليه مبدأياً أن يندهش من الأشياء ليباشر مسائلة العالم دون كلل أو ملل<sup>(٢)</sup>.

ج- الدهشة وتوضيح المفاهيم:

إن الدهشة هي التوجه نحو المعرفة، باندهاشي أعني بجهلي. أسعى نحو المعرفة فقط لأعرف، وليس لألبي مطلباً عادياً. ومن ثم تقرر لورانس قانين أن التفلسف هو اليقظة الفكرية<sup>(٣)</sup>. من جانب آخر يسهل السلوك الفلسفي إيضاح الكلمات بالوصول إلى تحديد المفاهيم، وهنا تكمن مشروعيته في التقليل من أشكال سوء التفاهم، وتفادي الالتباس، وإعادة تأطير المحاور الصارمة للخطاب، حيث تدفعنا الفلسفة إلى قيادة التفكير حول الحقيقة<sup>(٤)</sup>.

د- الدهشة .. واستلاب الإنسان:

لقد استلاب الإنسان وسط مجتمع استهلاكي، ويفوت على نفسه فرصة الظفر بالأساس أو الجوهر. من جهة أخرى، شهد عصرنا ظهور أوثان جديدة: المال، النجاح السهل والعابر، المظهر الخداع، الفساد، وأصبحت الجدارة والاستحقاق، الشجاعة

(١) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٥٦، ٥٧.

(٣) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاحيات الفلسفية"، ترجمة: محمد شوقي الزين، دار الروافد الثقافية، ط ١، ٢٠٢٣، ص ٣١.

(٤) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ٣٤، ٣٥.

والإقدام، النزاهة والإخلاص، الجهد والعمل قيماً مندثرة لأنها لا تتيح جمع أكثر عدد من المنافع والفوائد لهذا فقدت من شهرتها. ولذا أصبح مهماً اليوم، ومن أي وقت مضى، الاندهاش البسيط والحصيف بالأشياء. فاستعمال العقل من شأنه أن يهب الإنسان إمكانية عدم الانخراط في الأفكار الجاهزة والمهياة له سلفاً. يتيح له هذا الأمر التمييز بين المعلومة الصائبة والمعلومة المزيفة، وإعادة تحديد خياراته وتوجيهها تبعاً لقيم جديدة، أكثر فضلاً وصلاً<sup>(١)</sup>.

هـ- الدهشة والبحث عن الحقيقة (التأويل):

نفهم إذن ضرورة إجراء تحول في النظر. سعيد من لا ينظر في الاتجاه نفسه، من يتحول بنظره عن الرؤية العامة، من يُحسن إحباط الوهم، ويتوجه نحو الظفر بالمعرفة. إنه يمتلك مرونة في الفكر وحيوية تؤهله للزدهار العقلي بتشديد فكره بمقدار استثماره للمعرفة بطريقة ديناميكية. حيث كان شوبنهاور Arthur Schopenhauer (١٧٨٨ - ١٨٦٠) يرى أن الفلسفة تولد أمام العقل ومن وجودنا الذي يفرض نفسه أمام عقلنا بوصفه لغزاً يجعل الإنسان مشغولاً بالبحث عن حلول له<sup>(٢)</sup>.

يمكن فهم الحقيقة عن طريقين: الأول: أنها تتعلق بما هو مطابق للحقيقي (Varilas)، والثاني: أنها تتحدد بكونها حصيلة بحث (de'theia). معنى ذلك أنها تتكشف تدريجياً بمقدار ما تبحث عن الكائن المتواري، وهنا يتعلق الأمر بالبحث عن الواقع من أجل الوصول إلى فهم الأشياء بالتدرج، وفهم ما يحيط بنا. يحاول الفكر، في جهده في العقلنة، معاينة الظواهر المتعددة. هذا يعني أن العالم يمكنه أن يتجلى لنا بشكل ما، لكن علينا أن نبادر بالبحث للوصول إلى ماهيته الحقيقية. ويشهد هذا الأمر على تعقد معرفة المعرفة. فما يهم إذن هو تفادي الافتتان بمظهر البساطة التي يمكنها أن تضلل الفكر الكسول المستعمل في التخلص من فعل التفكير. وعليه، تحت البساطة الجلية يقبع تعقيد كبير. يدعونا هذا الأمر لتبني طريقة هيرمينوطيقية (تأويلية)

(١) المصدر نفسه، ص ص ٣٠ - ٣٣.

(٢) لورانس فانيين - فيرنا: لماذا تنقلس؟ سبل الحرية، ص ٤٠.

واستخلاص المعنى. وهنا يكمن هذا السلوك الفكري في استجلاء المعنى الباطن من المعنى الظاهر<sup>(١)</sup>.

يتطلب التأويل إذن مجاوزة للعيش البسيط للظواهر، لبلوغ الأشياء في ذاتها. فكما يؤكد بول Paul Riceour (١٩١٣ . ٢٠٠٥) أنه عندما نؤول فإننا نفهم، وعليه فإن الهيرمينوطيقا Hermenutics ينعقد فيها عطاء المعنى بالرمز والمبادرة العقلية في الاستجلاء. فما يهم هنا هو فك خيوط التعقيد من أجل إدراك مجموع القوانين التي تدبر الكون. حيث يقوم الفكر باستخلاص النظام والانسجام، وحيث يدرك الفكر في هذا الكون المتحرك شكلاً من التنظيم، فهو إذن يستخلص الترتيب في العلاقات ويقوم بفك شفرته<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: قيمة التفلسف

أ- الاستعمال السديد للعقل:

تُظهر لنا لورانس قانين قيمة التفلسف في الاستعمال السديد للعقل. وهنا يذكرنا ديكرت أن العيش بدون التفلسف هو إبقاء العيون مغلقة دون محاولة فتحها، ولا نقارن متعة رؤية الأشياء التي يكتشفها نظرنا بالمسرة التي تمنحها لنا المعرفة عن طريق الفلسفة. فالتفكير هو تمثّل حثيث للأشكال العقلية المتواترة. ينبغي إذن تحويل النظر نحو الذات والنزول عمقاً في شخصيتنا من أجل اكتشاف فكرة من نحن<sup>(٣)</sup>.

تكمّن الفلسفة أيضاً في الاستعداد الفكري لقراءة القديس واستعمال بوتقة الفلاسفة لتكوين عقلك. فلا يمكن للعقل إذن أن يستغنى عن الإحالة إلى القديس الذين نستند إليهم، سواء أكان على سبيل الاستمرار أم على صعيد الرفض والنقد. فالفلسفة تقتضي التفكير الدينامي وأن تفكر بذاتك لتحسن ربط الأفكار فيما بينها والابتعاد عن الذي تم التفكير فيه

(١) المصدر نفسه، ص ص ٣٦، ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٣) لورانس قانين - فيرنا: انظر وفكر .. من العين إلى الروح، ترجمة: محمد شوقي الزين، دار

الروافد الثقافية، ط١، ٢٠٢٢، ص ص ١٢٤، ١٢٥.

من أجل إبداع طريقة جديدة في التفكير. وهنا يتبدى جوهر المسألة في المنهج الذي يتيح التنسيق الصحيح والسهل بين الأفكار<sup>(١)</sup>.

وهنا تؤكد لورانس قانونين أن الأمر يتعلق كذلك بالاعتراف بالحدود من أجل تجاوزها. فإذا كان الجميع يتمتع بالعقل، فإن كل واحد حر في اختيار الاستعمال الملائم للعقل. يقوم العقل إذن على الفترة الخاصة في تقديم العالم الخارجي أمامنا مفهوميًا، وبإعادة استحضاره (re-presenter) أو تمثله. فهو يدل على نشاط في التركيب ومهمة في التفكير. إنه يسمح بالحكم على الحق والباطل بالتمييز بينهما. وهكذا يتطلب التفلسف اقتناء ثقافة عامة، وفضول الفكر، ذلك أن الفلسفة تهتم بالعلم والتاريخ والسياسة والجمال، فحقوق بحثها واسعة ومتعددة، وتتفق إذن على أن مركز اهتمامها هو الإنسان وكل ما يخصه ويتعلق به. فلا يمكن تصور إنسان يتخلى عن التساؤل حول ذاته ومكانه في العالم ومسؤولياته تجاه الغير والبيئة .. إلخ. إذا كان العقل وسيلة رائعة يخرج بها الإنسان من الحالة الحيوانية عليه أن يتعلم كيف يستعملها<sup>(٢)</sup>.

فإذا كانت المعرفة هي السلطة، فلا يمكن للإنسان أن يتخلى عن إرادة السيطرة على العالم بالمعرفة التي بحوزته وخصوصًا بالتقنية. وهنا تعد المعرفة خطأ بوصفها احتمالاً في السيطرة على المادة من طرف الإنسان، بل كذلك السيطرة على الطبيعة وعلى المصير في حد ذاته. وهنا يكمن الفهم في إبراز قوة العقل والذكاء الإنساني في إرساء العلاقات ورفع الإنسان فوق المادة<sup>(٣)</sup>. ولذا فإن مقولة: "اعرف نفسك بنفسك" تدعو لإدراك الوعي لذاته، وذلك بعد التمهيد من أجل التنظيم لبلوغ الرشد العقلي والحكمة. وهنا يمكن إدراك الحكمة على أنها "حرية"، لأن التفلسف هو تعلم التفكير، وهو أن تكون حرًا في خياراتك، وأن تكون حرًا معناه أن تكون مستقلاً. ويتطلب ذلك جهد التفكير<sup>(٤)</sup> كما توضح لورانس قانونين.

(١) لورانس قانونين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ٥٢، ٥٣.

(٢) لورانس قانونين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ٥٣، ٥٤.

(٣) لورانس قانونين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ٤٠.

(٤) لورانس قانونين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ٦٠، ٦١.

وضع ديكرت تعريفًا جديدًا يبلغه الفرد في ختام سلسلة من التأملات والانطواء على الذات. بعد سيرورة من التفكير ينتهي الإنسان الذي يشك في معارفه إلى أن يدرك الوعي ذاته. كل وعي هو وعي بالذات، على شاكلة فعل التعقل: "أنا أفكر إذن أنا موجود". لا يحتاج الوعي إلى الوساطة، بل هو يختبر ذاته في فعل التفكير ذاته، وفي الوحدة (وحدة الهوية) "لأننا" بصفته ذات تأملاته، حيث يكشف الوعي عن علاقة الذات بذاتها. صحيح أن الوعي يدرك ذاته انطلاقًا من العمل في الاستبطان. كما أن الوعي يعبر عن توجه قصدي، وليس مجرد انعطاف على الذات، فهو قادر على إدراك ما هو خارجه<sup>(١)</sup>.

انتبه ديكرت إلى أن هذه الحقيقة: "أنا أفكر إذن أنا موجود" كانت من الثبات واليقين، ولذا استطاع ديكرت أن يأخذها مبدأ للفلسفة<sup>(٢)</sup>. رأى ديكرت أن هذا المنهج هو أهم المشكلات وأولها بالعناية في مهمة الفيلسوف، فإذا أراد أن يجعل بداية إصلاحه الفكري الظفر بطريقة قوية للحصول على المعرفة الحقيقية. بواسطة ذلك النور الفكري المثبت فينا جميعًا وهو نور العقل<sup>(٣)</sup>. يقول ديكرت: "... إنني تعلمت ألا أعتقد اعتقادًا جازمًا في شيء ما بحكم التقليد أو العادة، وكذلك تخلصت شيئًا فشيئًا من كثير من الأوهام، التي تستطيع أن تخمد فينا النور الفطري، وتنقص من قدرتنا على التعقل"<sup>(٤)</sup>. ويقصد ديكرت بالنور الفطري نور العقل الذي يجعلنا نرى حقيقة الأشياء دون حكم مسبق عليها.

هذا هو منهج ديكرت الذي من أخص خصائصه تحصيل المعرفة اليقينية التي تتبع من ذات المعارف بادئ ذي بدء. لعل أهم ما يمتاز به منهج ديكرت هو وضوح مبادئه ويقين نتائجه. وقد عرض ديكرت لمنهجه في الفلسفة و العلم في أكثر من كتاب مثل: "مبادئ الفلسفة" و"قواعد لتوجيه العقل" و"مقال عن المنهج". ويعني ديكرت بالمنهج

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ١٤٠، ١٤١.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ١٥٧.

(٣) عثمان أمين: ديكرت، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٤، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٧٧.

(٤) رينيه ديكرت: مقال عن المنهج، ترجمة: محمود محمد الخضير، وزارة الثقافة المصرية

العامة للتأليف والنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٧٦.



قواعد وثيقة وسهلة تمنع مراعاتها الدقيقة من أن يؤخذ الباطل على أنه حق، وتبلغ بالنفس إلى المعرفة الصحيحة بكل ما نستطيع به إدراكها، دون أن نضيع في جهود غير نافعة، بل وهي تزيد ما في النفس من علم بالتدرج<sup>(١)</sup>.

ب- الثقافة والاستقلالية:

ترى لورانس قانين أنه قد حان الوقت لأن يظفر الإنسان بحريته، حيث تكمن المعرفة في أن يظفر كذلك باستقلالية، وأن ينتقف بحريته ليكون سيد خياراته. هكذا تتيح لنا المعرفة تفادي الدوجماتيقية والمذهبية. والثقافة بنصيبيها في العادات اللائقة وإتقان اللغة والمعرفة المدرسية وحسن الأداء وحسن الكينونة، وهذه الأمور ليست بديهية، وإنما تحتاج لجهود كبير، وسنوات عديدة من التحصيل لاستيعابها وإتقانها. وتتيح الطريق الطويل في التربية للفكر بأن يجد حريته، ومن ثم استقلاليته شيئاً فشيئاً<sup>(٢)</sup>.

إن الإنسان عندما يتعلم التفكير فإنه يظفر باستقلاليته وحريته. ويرى هيجل Georg Wilhelm Friedrich Hegel (١٧٧٠ - ١٨٣١) أنه من الضروري جعل الفلسفة مسألة جادة. بالنسبة لكل الفنون والعلوم والمواهب والتقنيات، تغلب القناعة بأنه لا يمكن امتلاكها دون عناء وجهد لتعلمها وممارستها، حيث يغلب في عصرنا اليوم الحكم المسبق بأن كل واحد يستطيع التفلسف وتقدير الفلسفة لأن يملك الميزان الضروري في عقله الطبيعي. ومن هنا فإنه لا تكتسب الأفكار الحقبة والبصيرة العلمية سوى بعمل المفهوم. المفهوم وحده من شأنه أن ينتج عالمية المعرفة<sup>(٣)</sup>.

يكمن النجاح الحقيقي للإنسان في نقل ثقافته، بأن يكون أفضل ممثل لها، لينفتح على العالم وعلى الحضارات الأخرى، وذلك بإتقان الفلسفة ومفاهيمها، وكذلك معرفة القدماء لأننا عندما تشكل أحكامنا، فإننا نفكر دائماً بالمقارنة مع الآخرين وتملك مفاهيمها ونقدها. وبهذا يكمن ميلاد الحكمة في الوعي بهذا الانفتاح على العالم. فعندما يتألف المفكر مع عصره وينفتح عليه، فإن هذا يمثل محوراً إبداعياً للفكر الذي ينشأ ويتشكل

(١) المصدر نفسه، ص ص ٢٥، ٣١، ٩٥.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ٥١، ٥٢.

انطلاقاً مما هو كائن ومن المكتسبات الشخصية لمن يفكر. غير أن تفكيره ينخرط في تاريخ جماعي للفكر، مع الاعتراف بأن فلاسفة الماضي يشكلون إرثاً يستحق البحث والدرس، وكذلك النقد<sup>(١)</sup>.

ج- الفلسفة قاعدة فعلية: الواجب، الأخلاق:

يصبح العقل مبدأ كل مذهب في الواجب، ويبقى الفعل الإرادي محدوداً بتمثل نتائجه. حيث يتوقف الواجب على إرادتنا في إنجازه أم لا، وهنا بالضبط يكتسي معناه. ومن ثم فإن الحرية هي أصل الأخلاق، فلأني حر أن أختار فعل الخير أو العكس في أن أنتصل من واجباتي، تستوفي الأخلاق معناها وقيمتها في المسار الفعلي لوجودي، وهنا فإنني أمارس إرادتي الحرة، وتتوقف أفعالي ومداهها على استطاعتي ووحدة إرادتي وعزمي على مقاومة كل الإغراءات. كما يكمن السلوك الأخلاقي أيضاً في تجنب ثلاثة أخطاء رئيسة ومؤسفة ألا وهي: النسيان ونقصان العقل وصعوبة ترويض الرغبات<sup>(٢)</sup>. وترى لورانس قانين أنه يمكن تصحيح هذه الميول البذيئة بصرامة، وتصويبها باستعمال العقل، وبممارسة الفلسفة حرياً بنا أن نرسي هنا قاعدة في الحكم والإرادة والرغبة، كما يدعوننا إلى ذلك ماركوس أوريليوس<sup>(\*)</sup>. وتعد تأملاته أهم مصدر تاريخي فيما يتعلق بأعمال وتعاليم الفلاسفة الرواقيين الأوائل. يؤكد ماركوس أوريليوس مراراً وتكراراً في كتابه "التأملات" أنه من الضروري تحليل أفعالك وأحكامك من أجل الوقوع على مكانك المنطقي والعقلاني في الكون. كما يؤكد أن كل شيء يأتي من الطبيعة، وكل شيء سيعود إليها. يجادل ماركوس أوريليوس بأن الخير الأسمى هو أن نعيش حياة فاضلة، خالية من الشر والرذيلة قدر الإمكان<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ص ٧١، ٧٢.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ٩٧، ٩٨.

(\*) ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius Antonus Augusts (١٢١ - ١٨٠ م) إمبراطور وفيلسوف رواقى، ورث البعد الأخلاقي للرواقية والذي يربطه باحترام القدماء، وبممارسة الاعتدال يرى كذلك أن حُسن السلوك مرهون بالعيش وفق الطبيعة. والانخراط في سببية الكل.

والفعل هو إدراج مسؤوليتنا في العالم. انظر: المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٣) انظر: لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ٩٩.

تعتمد حياتك على أفكارك. لذلك، احترس واحرص على عدم التفكير في أي مفاهيم غير مناسبة للفضيلة والطبيعة العقلانية. وهناك اعتقاد خاطئ لدى البعض بأن الرواقيين لا يهتمون بالخبرات والملذات الدنيوية. وهذا ليس صحيحًا، وبالمثل فإن الانخراط لبرهة في الحرمان ليس غاية مطلقة في حد ذاته للمفكرين الرواقيين، ولكنه بالأحرى وسيلة بغية التدريب الذي يصبو نحو السمو والنقاء الروحي. ومن هنا تتبنى الرواقية هذا الاستخدام المقصود للحرمان مؤقتًا من أجل الهيمنة على الرغبة الجامحة للماديات والملذات الحسية<sup>(١)</sup>.

اهتم ديكارت بقواعد الأخلاق، ومنها دعا الفرد أن يجتهد في مغالبة نفسه وشهواته لا في مغالبة الحظ أو مقاومة القدر. لأن أفكارنا ملك لنا نستطيع أن نتحكم فيها كما نشاء. وبهذا نستطيع ألا نأسف لحرماننا من الأشياء التي لا يقدر على نوالها. وعلى هذا النحو نستطيع أن ننعم بالغنى والقوة والحرية وكل أنواع السعادة<sup>(٢)</sup>.

يهتم ديكارت بأن يعيش الفرد سعيدًا. والصلة هنا مع الكوجيتو الديكارتي واضحة. هذا الفرد ومنفعته الحياتية المادية ومصالحته الصحية الجسدية هو الذي يجعل كل الديكارتية تنتمي للحضارة الغربية وتشكل جزءًا هامًا منها. وخدمة هذا الفرد تتجلى في كتابه "انفعالات النفس، دراسات فلسفية". فمعالجة موضوع الانفعالات هي هم ديكارت: فرح الفرد وتمتعه بحياة عاطفية هائلة، ليس هذا من قبيل الصدفة أن تنتهي الجملة الأخيرة فيه بإعلان انتصار الفرغ على ما يقف في وجهه<sup>(٣)</sup>.

يحاول ديكارت أن يحلل شتى الانفعالات والأهواء والعواطف ليلم بها ويفسر آليتها، ليسمح بعد ذلك للعقل أن يسيطر عليها ويسخرها لخدمة سعادة الفرد في حياته العاطفية. وكتابه في الانفعالات هو كذلك كتاب في الأخلاق. ففي هذا الكتاب تلعب

و: دالي كينجسلي: وعد إيكنتيوس "دليل أولي لتاريخ وفلسفة الرواقيين، ترجمة: كرار صباح

القره جولي، دون دار نشر، دون تاريخ، ص ص ٤٧ - ٥٠.

(١) دالي كينجسلي: وعد إيكنتيوس، ص ص ٥٢، ٦٨، ٦٩.

(٢) رينيه ديكارت: مقال عن المنهج، ١٧٦

(٣) رينيه ديكارت: انفعالات النفس، دراسات فلسفية، ترجمة وتعليق: جورج زيناتي، دارالمنتخب

العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٩٣، ص ٧.

الإرادة دورًا هامًا من أجل اجتثاث الأهواء والانفعالات، وذلك من أجل ترويضها وقيادتها نحو هذا النصر العظيم في حياة الفرد الاجتماعية، انتصار نبيل القلب على كل نبل الخوف والتردد والجبن<sup>(١)</sup>.

يتجلى تفاؤل ديكارت في مجال الأخلاق، كما يؤكد إيمانه بالإنسان، إذ يؤكد أنه ليست هناك من نفس ضعيفة إلى درجة أنها لا تستطيع أن تقف في وجه عواصف العواطف. وكأني به يقول لكل فرد: في داخلك قوة ضخمة كامنة تنتظر أمر إرادتك تحلق بك فوق كل ضعف، ففي كل إنسان منا تكمن قوة قادرة على الوقوف في وجه أنواء الانفعالات، غير أن الإنسان يستطيع أن يخرج منها منتصرًا من المعركة داخل النفس عن طريق ممارسة الفضيلة التي هي عمل الأشياء التي يحكم العقل بأنها الأفضل. إن هذه الممارسة الدائمة للفضيلة تجعل الإنسان في حال من السعادة، بحيث تصبح معها أعنف العواطف والأهواء أضعف من أن تتال من هذا الهدوء النفسي الذي يميزه<sup>(٢)</sup>.

وفي القسم الثالث والأخير انطلق ديكارت في تحليل الشعور الرائع الذي يعطي الإنسان كل معناه ويمده بكل كرامته، ألا وهو شعور النبيل الحقيقي الذي يمنعنا من أن نحقر أي إنسان. إن احترام الذات واحترام الآخر يصبحان الشرط الأساسي لكل عمل إنساني وبداية النبيل المنفتح على الأفق اللامحدود لعمل الخير. كما أن استعمال الحرية الموضوعية تحت تصرف الإرادة هو مفتاح الحل لكل الانفعالات، لا للسيطرة عليها من أجل إلغائها، بل لمعرفة قوانينها وتحليل أولوياتها من أجل وضعها في تصرف الفرد من أجل حياة رغبة سعيدة ممتعة. فالحكمة تجاه الجسد وانفعالاته وعواطفه وأهوائه ليست بالكبح، بل بالموقف العقلاني الذي عن طريق المعرفة يصل إلى القدرة والسيطرة<sup>(٣)</sup>.

يرى ديكارت أن الانفعالات كلها جيدة وليس فيها من شيء سوى طريقة استعمالنا لها. فليست في رغبات الجسد وانفعالات النفس أي سوء. على العكس من كل رغبة وعاطفة ومعرفة أدق تفاصيلها وعلاقتها بالنفس هو الطريق لوضعها في خدمة منفعتنا. إذ ليس من سعادة أرضية يومية بدون حسن استعمال عواطفنا ورغباتنا. والحكمة

(١) رينيه ديكارت: انفعالات النفس، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٩، ١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠.

لا تتوقف عند عذوبة الحياة وصفائها، بل تتعداها إلى تحدي الصعاب والآلام والمشاق لتجعل من هذه أيضًا حطبًا لوقود فرحها<sup>(١)</sup>.

في بدء العلاقة بين الجسد والنفس، حسب ديكارت، كان هناك فرح، وفي نهاية مطاف علاقتنا بانفعالاتنا ورغباتنا وآمالنا ومطامحنا يعود الفرح الذي طرده جهلنا لأنفسنا وجهلنا لقوانين حياتنا العقلية، وبخل قلبنا، ويصبح اللقاء الدائم مع هذا الفرح، عن طريق الذهاب إلى أقصى ما يستطيع في نبل القلب والعطاء والكرم واحترام الشخص الإنساني في ذاتنا وعند الآخر هو المعنى الأخير لكل الوجود البشري<sup>(٢)</sup>.

د- متى ولماذا نتفلسف؟! (ممارسة الفلسفة):

تتساءل لورانس قانين: متى نتفلسف!؟

وتقول بأن الفلسفة مادة فريدة، تتمتع بمعالجة خاصة وأحيانًا غامضة. حيث تدعو الفلسفة إلى التفكير حول أسس المعرفة، لكنها أيضًا تشكل تأملًا نقديًا حول شروط قدرتنا على الأشياء وأشكال تطبيقها. لكن، بمجرد أن تكتسب، فهي تساعد على التأقلم مع الوسط الذي تتطور فيه، وتتطلب تفكيرًا أخلاقيًا حول الدور الاجتماعي لكل فرد، وحول إدارته للوضعيات التي قد يوجد فيها. هذا يدل على أن التفكير يساعد على الاستبصار واليقظة. وترى لورانس قانين أنه من المفروض أن تجد الفلسفة مكانًا لها في كل تخصص جامعي<sup>(٣)</sup>.

تُعلم الفلسفة بأداة التفلسف، كيف يصبر الإنسان، الصبر على المعرفة باقتنائها، الصبر على الذات بتكوينها وتنقيتها، لأنه عندما يصل الإنسان إلى النتيجة ويصبح طبيعيًا أو معلمًا أو مديرًا أو رجل أعمال أو سياسيًا، يعرف أنه يسلك الطريق الطبيعي في تكون ذاته وتكوين من يأتون بعده، وتحمل الأعباء والمشاق، بوصفها نيرانًا تطهيرية لذاته من أدران الحمق والجهل والاضطراب. بهذا المعنى تعلم الفلسفة كيف نصير بشرًا، كيف يكون الإنسان إنسانًا ويظفر بإنسانيته، ويؤدي أدواره ويتحمل مسؤوليته. فالمسألة هي

(١) رينيه ديكارت: انفعالات النفس، ص ص ١٠، ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١.

(٣) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١١١، ١١٤، ١١٥، ١١٦.

سلسلة طويلة ومتكاملة من الوظائف: من يتكون بالصدق الخالص مع نفسه ومع غيره، يُكوّن الأجيال التي تأتي بعده بصدق ويهيئها للمهام الحضارية، فتكتمل السلسلة وتتواصل<sup>(١)</sup>.

أما نفاذ الصبر وابتغاء النجاح بكل الوسائل، بما في ذلك الغش والفساد، فإن السلسلة تنقطع ومن لا يتكون بجد وجودة، يعجز عن تكوين غيره ومن يأتي بعده، وهذا تقويت خطير للفرصة مع التاريخ والحضارة، أي السقوط التدريجي في الانحطاط في جميع المستويات والمجالات. هذا ما تفاديه الفلسفة، لذا جاءت أيضًا كطريقة علاجية في مداواة الجزع والقلق والاضطراب العاطفي والانفعال، ودرء كل ما من شأنه أن يعكر صفو الانتباه والتركيز على الذات<sup>(٢)</sup>.

يمكن القول إذن إن الفلسفة الحقيقية هي مسألة تعلم رؤية العالم من جديد وما يعيننا هنا هو الوجود الإنساني، كما أنه نوع من الوجود العالمي الذي يشكل أساسًا من التجربة الإنسانية، فالإنسان كل واحد<sup>(٣)</sup>. هذه هي الفلسفة لمن يبحث عن فائدتها، فائدة روحية وحضارية، تنمي الحس النقدي بالاشتغال على الذات والانتباه لمسار العالم، لأن الفائدة هنا سلوكية وتكوينية تخص كل المجالات: من لم يتكون في أي مجال (الطب، التقنية، السياسة، الاقتصاد، ... إلخ) بالقدر المطلوب، فهو أعجز عن تكوين غيره وأداء مهامه وفهم شرطه الإنساني وفهم وضعيته الوجودية. هنا بالضبط ينبري الطابع التكويني، والكوني للفلسفة، عالميتها ودورها التتموي والمستدام، أي الفلسفة الخالدة<sup>(٤)</sup>.

(١) لوانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١٦، ١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٣) Bryan A. Smyth: Merleau- Ponty and the realization of philosophy, London, New Delhi, New York, ٢٠١٤, pp. xi, xix.  
And: Lydia Geher: Understanding the engaged philosophy: On Politics philosophy and art, Art in: Taylor Carnon and Mark. B. H. Hanson: Companion To Merleau- Ponty, Cambridge University, ٢٠٠٥, p. ٣٢٨.

(٤) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١٧، ١٨.

غالبًا ما يدخل الإنسان في نمط روتيني من الحياة: (المتر - العمل - النوم)، وهو في شرك الحياة الصاخبة للمجتمع. يرتبط وجوده ذو الإيقاع الفاعل والمعقد بعمله وأهله. يطالب العمل بأن يكون منتجًا ومتعدد الوظائف وفي مستوى التقدم، بحيث تصبح المناقشات المتواترة والمتكررة التي تستلزمها هذه المطالبة ثقيلة ومجهددة. فلم يحصل الإنسان على وقت مخصص للتسلية مثلما يحصل عليه اليوم. لكن بين الخمول أو الحركة المسرفة، والحاجات المالية الضرورية للازدهار الجسدي أو العقلي لكل واحد، وفي زمن التلغز والإنترنيت، والوجبة السريعة، والسباق نحو الاستهلاك والوجود المتسارع، هل يمكن أخذ وقت استراحة من أجل التفلسف؟ هل بقي مكان للتفلسف؟ والسؤال: لِمَ التفلسف؟<sup>(١)</sup>.

وهنا ترى لورانس فانين في البداية كيف أن التساؤل والتفكير الفلسفي مفيدان للفكر، يشجعان فينا اقتناء مكان للحرية، بالابتعاد عن الظنون التي يحركها المجتمع، وأحكامنا المسبقة. هل يمكن إذن تعريف فعل التفلسف على أنه محاولة في التساؤل حول المعرفة في مواجهة الجهل. وهذه المعرفة تقتضي الحدس والبداهة، وهنا يصرح ميرلوبونتي أن التفلسف يمكن أن يُعرف بحكم امتلاكه هذا الحدس<sup>(٢)</sup>.

توضح لنا أيضًا لورانس فانين قيمة المشاركة، مشاركة الأنا - الآخر، وانفتاح الذات على العالم، ومن ثم تتحد العين والذهن إذن ويشغلان معًا. لكن في العلاقة بالآخر، تغير العين من نظرها. فإن النظر الواقع على الآخر يدعونا إلى خلفية من العلاقات، حيث تسهم الممارسة الفلسفية في تعديل النظر إلى الكائنات من أجل رؤية كل كائن باعتباره إنسانية تقتضي العناية. حيث يساعد النظر المستنير بالطيبة والرحمة على نشوء ذكاء القلب. فقط عندما يصير النظر عميقًا، يتوصل الإنسان إلى فهم أن إنسانيته هي شذرة من الإنسانية جمعاء، تلك الإنسانية التي ينتمي إليها. وعندما تدرك العين قيمة الكائن في كامل انتباهها للحياة، فهي تبلغ النور. هذا النور يتخذ معنى الرؤية الباطنية

(١) المصدر نفسه، ص ٢١، ٢٢.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٢. و: فريناند ألكيبه: معنى الفلسفة، ص ١٥.

لبلوغ التعالي، أصل كل شيء وسببه. هكذا تتجاوز العين الروحية مادية العالم لتتوصل عبر الرؤية الباطنية إلى تأمل الفضائل وكذلك تأمل الإلهي<sup>(١)</sup>.

إن التفلسف، كما توضح لنا لورانس قانين: هو التساؤل دون انتظار جواب بالضرورة. بعض الحلول يمكنها أن تكون مؤقتة، والمعلم يساعد في فهم المفاهيم وضبطها، وما يهم هو ممارسة الفلسفة والتدريب على التفكير من أجل العيش الأفضل. وما يهم الشباب هو اقتناء ثقافة فلسفية صلبة، أي المعرفة النظرية، لأن تدريس الفلسفة من شأنه أن يسهم في الازدهار الشخصي لكل فرد في كل ممارسة (أي في النظام العملي) بتطبيق التعاليم الفلسفية، ومن هنا يمكن للإنسان أن يضع بينه وبين الانفعالات مسافة معتبرة<sup>(٢)</sup>.

ترى لورانس قانين إذن أن الفلسفة، أو بالأحرى ممارسة الفلسفة تتيح للشباب التوجه نحو المستقبل وهي تعاطي إمكانيات بلوغ الأهداف، وهذا الأمر يتعلق بالتخطيط العقلاني والمتبصر واختيار الوسائل الملائمة في الظفر بالنجاح. ومن هنا ترى لورانس قانين أنه يبدو ضرورياً تغيير الخطاب ورد الاعتبار لقيم الجهد والتحفيز. حيث يمكن لشباب دينامي ومليء بالحيوية أن يضمن مستقبل مجتمعه مزدهر. فمن واجب كل واحد أن يكون سيد حياته الخاصة. وهذا مفيد لأنه يتعلق بالحس السليم وبالتفكير في الجهود الواجب تكريسها (من طرف الشباب) للتأثير على الواقع من أجل تقلد مسؤوليات جديدة<sup>(٣)</sup>.

إن قيمة التفلسف قد أصبحت علمية، أي أنها ممارسة تتيح لنا فهم الواقع العملي. فالفلسفة بدورها قد عنيت بالحياة العملية، فأرادت أن تكفل للإنسان ملاذاً في الضراء وحين البأس. ونظر اليوناني فوجد على المسرح الفلسفي مدرستين كبيرتين متنافستين في اجتذاب الجماهير .. إحداهما مدرسة "الحديقة" وقد أنشأها أبيقور

(١) لورانس قانين - فيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح"، ص ص ١٢٩، ١٣٠.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١١٨، ١١٩.

(٣) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١٢٤ - ١٢٦.



Epicurus (٣٤١ - ٢٧٠ ق.م) والثانية المدرسة "الرواقية" وقد أنشأها زينون Zeno (٣٣٤ - ٢٦٢ ق.م)<sup>(١)</sup>.

سندرس بعد ذلك نتائج التفكير الفلسفي على سلوكنا. يطرح هذا الأمر مشكلة القيم أمام الفساد. هل يُسهم التفلسف في تعديل أفعالنا؟! أخيراً في أزمة المجتمع الذي تبدو فيه الأنظمة الفكرية مقسمة ومميزة، وأيضاً كل طبقة اجتماعية وكل جيل من الأجيال، نتساءل: إذا كان هنالك سن للتفلسف؟ وهل يمكن للفلسفة أن تسهم في المصالحة بيننا وبين العالم المعاصر؟ هكذا نزيح المشكلة من: "لِمَ التفلسف؟" إلى "متى التفلسف؟". وعليه نخصص استدلالاتنا إلى إدراك المعنى أمام العبث والعزلة. ربما نفهم أنه أمام المصائب، الحكمة الفلسفية تكون هي الطريق نحو تحصيل السعادة<sup>(٢)</sup>.

تتيح الفلسفة للإنسان بأن يعي حدوده، وأن يتحرر من عيوبه، ويطور خصاله، وبأن يغادر الرأي الذي يشكله حول ذاته. ويعرض شعار "دلفي": "اعرف نفسك بنفسك" فإننا لا نعرف، وبأن معرفة الذات غير معطاة للوعي مباشرة، وإنما تحتاج لبذل الجهد والاضطلاع بالبحث بالنزول في أعماق بواطننا والولوج في جوهر كينونتنا. ومن ثم تتير هذه الرؤية المتعمقة كل إنسان حول ما هو عليه. لكن ليست هذه الرؤية مجرد معرفة للذات معرفة نظرية خالصة، بل تتطلب جهداً من أجل تحسين هذه الذات وإكمالها عملياً. وهذا يتطلب جهداً شاقاً في المراجعة والتطهير، حيث يتجلى هذا النظر الباطني بوصفه حدساً<sup>(٣)</sup>.

إنني أقوم بإماتة هذا الفرد المليء بالأحكام المسبقة بداخلي، لأحرر نفسي من أنقالها، ولأبلغ جوهر كينونتني. وأدرك، انطلاقاً من باطني، ثراء إنسانيتي، فنحن كلنا نشارك في هذه الإنسانية، حيث يتواعم النظر والفكر في إدراك هذه الكلية التي يشارك فيها كل واحد منا. فيختبر الإنسان في ذاته نقطة انطلاق إنسانيته، لأن الإنسانية كلها تتعكس في ذاته. هذا يعني أن الواقع الموضوعي لا يُدرك عبر منتجاته الحسية، انطلاقاً

(١) عثمان أمين: محاولات فلسفية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٣، ص ص ١١٦، ١١٧.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ٢٢، ٢٣.

(٣) لورانس قانين - فيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح"، ص ص ١٢٥، ١٢٦.

من سعي خاص وأصيل نحو المعنى العقلي للسبب الأول لكل الأشياء. هكذا يوسع الإنسان بروحانيته المستتيرة رؤى الروح بتركيز نظره على ذاته وعلى الغير والعالم، ومن ثم، يتوصل إلى بلوغ الإلهي<sup>(١)</sup>.

إن إنسان القرن الواحد والعشرين مكرر ومحتار. لديه الانطباع بأن فناعته تذبل، وبأن الحقائق تقلت منه. يحاول فهم العالم الذي هو ملقى فيه، ويسعى لفك شفراته، وحل ألغازه ومعرفته. يبدو عقله للأسف عاجزاً تماماً لبعض الإدراكات، لاسيما أن العلم لم يفِ بكل وعوده، ولا يزال يتحسس، لأن أسئلة الأمس تستمر اليوم، وتمثل تحدياً كبيراً له. ومن ثم يشعر الإنسان بنوع من التشاؤم أو الإحباط يطغى عليه أمام أزمة الغموض الذي يشهده، وهو لا يعرف كيف يتغلب على هذا الشعور بالتفكك. وكيف يستخلص نظاماً يبحث عن الخيط الأساسي الذي يتعلق به للخروج من فتوره ومن ثم يدعو للمعنى الذي يريد التعلق به وبالتالي يسعى جاهداً لإيجاد الحلول<sup>(٢)</sup>.

فالإنسان معرض أكثر فأكثر لقسوة الأحداث التي تقع في العالم، والتي تصدمه وتؤثر عليه. يبدو له أن عدم الفهم وغياب التفسير والشقاق بين الكائنات والأمم تتجدد دائماً وأبداً دون أن يكون هنالك تقدم للإنسانية أو تعافٍ من الأوجاع التي تمسه. كل هذا يترك المجال لعبثية الأشياء وللأس أمام نقصان العلاجات الناجعة، والعزاء تجاه فقدان المعنى. وأحياناً تتغلب انفعالات الإنسان على العقل، والمشاعر على ضبط النفس، مما يوسع من دائرة القلق لديه. إذن كيف ينتشل الإنسان نفسه من برائن الارتباط الداخلي، المرتبط بالاضطراب العاطفي؟<sup>(٣)</sup>.

إن الإنسان مُلقى في العالم، وما أن يكبر حتى يعي بهشاشة وجوده وعبثية شرطه الإنساني بأنه كائن من أجل الموت. يهتز ويتأثر، ويزداد تأثره حدة بمقدار ما يتساءل حول "الأنا" و"العالم" و"الإله"، وماذا يعني ذلك بالنسبة إليه. ينهار معنى حضوره

(١) المصدر نفسه، ص ص ١٢٦ - ١٢٨.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢.

ويفسح المجال للحيرة والعبث. وعليه يمكن للأنا أي "الوعي" أن يتساءل حول مغزى وجوده في العالم، والبحث عن غايته في هذا الوجود، وهذا بالنسبة له شيء ضروري وأساسي شبيه بالعلاج، فضلاً عن أن هذا السعي يتعلق بـ "صحته" وبقائه وما يمكن أن يأمله، وكيف يقود وجوده لكي يجد الأدوية الناجعة لتعافي نفسه<sup>(١)</sup>.

بناء على ما سبق توضح لورانس فائين أن الإنسان إذا فكر بتفاؤل، فهو يعي بأن زمن حياته خاص به. إنه حر في المعنى الممكن إضافؤه على أفعاله، وبأن يتحقق في المشاريع التي تهمة، أو أن يغرق في الانفعالات الهدامة. فلم يجعل الإنسان من أجل التنازل، بل من أجل التحقق في الوجود. كما يتحدد الإنسان بأهدافه، ذلك أنه يختار بمحض إرادته. وهنا يكمن التخلص من العبث في إيجاد المواد الضرورية الخاصة بالذات قصد الازدهار في العالم، والشروع فيه. ويؤكد سارتر أن الإنسان ليس شيئاً آخر سوى مشروعه، فلا يوجد إلا بمقدار ما يتحقق، فهو ليس شيئاً آخر سوى مجموع أفعاله<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً- الوعي وإدراك الذات والعالم

أ- العين والنظر (الإدراك) عند لورانس فائين:

إن الوعي Consciousness قرين الحرية. فحينما أعني ذاتي، أعني أن لديّ اختياراً حرّاً، وأولى اختياري هي اختياري لذاتي. يمنحني الوعي الإدراك، إدراك العالم وعلاقتي به. والانفتاح على ذلك العالم الذي يربطني بالآخر و"جسمي" هو حلقة الوصل بيني وبين ذلك الآخر. ومن هنا تسعى لورانس فائين - فئيرنا لبيان أهمية الوعي في إدراك ذلك الانفتاح على العالم، فالعالم مشاركة وتواصل، وهذا التواصل يؤكد قيمته من خلال الحرية والروح والفن. وهنا ننقل من العين إلى الروح.

وهنا تطرح لورانس فائين سؤالاً فلسفياً حول المعرفة. وكيف يتم الإحساس والإدراك؟ كيف يشتغل الذهن في العلم وفي الفن؟ كيف تُلقي العين نظرتها على العالم؟ وكيف تتغير هذه النظرة بين الموضوعات. إذا كانت حسية أم إنسانية؟ وكيف تصبح

(١) المصدر نفسه، ص ص ٢٣، ٢٤.

(٢) لورانس فائين - فئيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ١٠٧، ١٠٨.

النظرة إنسانية عندما تتجاوز الموضوع نحو الذات؟ وأخيراً كيف تصبح نظرة باطنية عندما تنتقل من الجسد إلى الروح<sup>(١)</sup>.

إن الملاحظ أن عملية التفلسف حول مسألة الرؤية واشتغال الذهن والعقل جاءت في إطار انتقال تدريجي ومنسجم من الظاهر (الحس) إلى الباطن (العقل)، ومن الكثرة المشهودة (الأشياء) إلى الوحدة المعقولة (الذهن)، ومن الوعي بالموضوعات (العالم) إلى الوعي بالذوات الإنسانية. ومن إدراك الجسد (الإغراءات، (العاطفة) إلى إدراك الروح<sup>(٢)</sup>.

يمثل الإدراك في النهاية حصيلة هذه الرياضة العقلية. ييدي الذهن تكامله مع العين، لأنه يتجاوز المظاهر الفيزيائية والشروط الفيزيولوجية للإحساس. يضيف المعنى على الواقع ويرسخه في الزمن. ومن ثم فإن الواقع ليس مجرد سلسلة من الصور، بل كذلك بنية مركبة ذات دلالة. تثبت الصورة حضورها في ذهني بوصفها تمثلاً عقلياً. عندما تعبر عن الواقع، فهي الإدراك، عندما تعبر عن نقيض الواقع أو الوهم، فهي الخيال، عندما تعبر عن الماضي الخاص بي وعن ذكرياتي، فهي تحيل إلى الذاكرة<sup>(٣)</sup>.

تعكس العين عضو الإحساس البصري. بها نرى ما يجري أمامنا فهي تخبرنا عن العالم من حولنا. تجمع المعلومات حول الأماكن الملونة والمعروضة أمامها. فهي تتنبه للألوان والأشكال والخطوط والمنحنيات وتميز بين التضاريس والحركات. كذلك تلاحظ العين أنظمة التعقيد، في رؤية زرقة السماء بزرقة البحر، وتتقاطع الطرق، وتختفي بعض منحنيات الجبال وراء الأخرى، وتمتد الأجسام أمامها، ويقوم الملاحظ بتنظيم مرئي لما هو معطي له، حيث يقوم ذهنه باستجلاء هذا التعقيد. هكذا يصير المنظر مركزاً للروابط والعلاقات، مكان تتجمع فيه العناصر مرئياً لتعطي معنى ما: الرؤية هي الولوج في عالم الكائنات التي تظهر، ولا تظهر إذاً كانت متوارية خلف بعضها البعض. بعبارة أخرى: النظر إلى شيء ما، هو إدراك جميع الأشياء تبعاً للوجه الذي تظهر به<sup>(٤)</sup>.

(١) لورانس قانين - فيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح"، ص ١١.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح"، ص ص ١١، ١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥.

يبقى الإحساس بالضرورة شرط كل إدراك وكل معرفة. إننا في الإدراك على وعي بطبيعة الشيء ووظيفته. وهنا تكمن الفرضية دائماً في استنباط المعطى مما توفره الحواس. يُبنى الإدراك بحالات الوعي مثلما يُبنى المنزل بالأحجار، ويتخيل كيمياء عقلية تقوم بصهر هذه المواد في كل مدمج. كما يكمن إدراك الشيء في تصور جوهره والإقرار بأنه يتميز عنى. وهنا يتدخل العقل في فعل الإدراك لأنه ينظم التركيبات ويسمّيها ويرسيها. هكذا يتوصل الذهن إلى تنظيم الإحساسات ويصوغ تمثلاً حول ما يحيط به من أشياء. يقتضي الإدراك إذن استخلاص انسجام خاص بالعالم. ويسهم استعمال الذهن في بلوغ الفكر والفهم الأسمى ما دام العقل يتوصل إلى استيعاب ثراء المحسوس وعمقه<sup>(١)</sup>.

إن الحديث عن الإدراك والانتقال من العين إلى العقل كونه يتطرق للإحساس والإدراك عند ميرلوبونتي حيث إدراك الذات والعالم، وانفتاح الذات على العالم، وكيفية الانتقال من العين إلى الروح حيث الحرية والفن، وهذا ما تسعى لورانس قانين لتوضيحه، وتوضيح دور ميرلوبونتي العميق. وهذا ينقلنا للحديث عن القصدية Intentionality عند ميرلوبونتي وارتباطها بالوعي والجسم.

ب- الوعي والجسم والعالم:

يتطلب الوعي القصدية. والقصدية عند ميرلوبونتي تعني الترابط الضروري للخبرة في العالم، ذلك العالم الذي يعبر عنه ميرلوبونتي بأنه متشابك، حيث يتشابك فيه الجسم والعالم، أو ما يسميه "الجسد" المشترك للعوامل الملموسة<sup>(٢)</sup>. فلا يمكن أن ننفي أن الجسد يحاكي العالم. كما أن الجسم يشارك في تجسيد الحياة. يتزامن الوعي مع ما يحياه، وإذا كان هناك "بدن" يميزه معيش الجسد في تجسده الحسي بوصفه "بدناً خاصاً"، يوجد كذلك، كما ترى لورانس قانين، وعي يقتدر في العالم. ومن ثم لا تشكل العاطفة فحسب خضوع العقل، وإنما تدل كذلك على تجسد الذات في العالم وفي علاقتها بالغير. حيث يتركب

(١) لورانس قانين - قيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح، ص ص ٣٦ - ٤٠.

(٢) Taylor Carnon: Sensation, Judgment and the phenomenal field, Art in, Taylor Carnon and Mark. B. H. Hanson: Companion to Merleau-Ponty, Cambridge University, ٢٠٠٥, pp. ٥١, ٥٢, ٦٨, ٧٠.

الإنسان من "مادية مزدوجة"، "الجسد"، و"البدن" أو "اللحم"، ويوعي مضاعف فإن هذه المادية المزدوجة عقلانية وحسية ولا يحدد التفكير في الذات سوى لحظة يتواعم فيها الإنسان مع النواة العقلية بعد جهد في التركيز. ويختبر الوعي أحوال النفس عندما يكون حسياً، فيكون قادراً على جمع كل هذه الأحوال في "الأنا" بعد تركيز متعمق<sup>(١)</sup>.

إنني ألاحظ حضور الأشياء من حولي، لكن بالنسبة لي، أنا المجهول من اللحم والدم، أصطمم بزواية من الأثاث وأشعر بأن هذا الاصطدام مؤلم. أشعر بأحاسيس، أفكر، أتألم، أضحك، أختبر الحياة. ومن ثم لا ينبغي عد اللحم مجرد مادة، ولا ذهن. يتعلق الأمر بوساطة بين الاثنين. يتحدد بوصفه العنصر المرئي بشكل محسوس، وهو نفسه يشعر في هذا المعيش المتجسد. يتعلق الأمر بحياة معبرة، تلك التي تمر عبر وساطة الجسد. إنني أفهم بالقياس بأن الآخر هو حضور بالنسبة إليّ. علاوة على ذلك، يمكنني أن أستتبط حالته الذهنية من نمط وجوده: إذا بكى أعرف أنه حزين، إذا انحنى من الألم أتصور درجة معاناته، لأن هذه الأحوال ليست أجنبية عني. اختبرتها في "لحمي" أو "بدني" بوصفها ذاتية جسدية. النظرة الملقاة عليّ، حضور فلان أمامي، كل هذا يختلف عن شيء موضوع في حيز ما. إذا كان الآخر حاضراً. ما يقلقني هو حضوره الواعي، اليقظ، الروحي<sup>(٢)</sup>.

يكنم فهم الأشياء في الطريقة التي نحن بها على اتصال بالعالم عن طريق تجاربنا الجسدية. حيث تتوسط الأشياء وجودنا الجسدي في العالم. وتكون إنسانيتنا على قدر المشاركة الأصيلة التي تعلم رؤية الأشياء في الواقع<sup>(٣)</sup>. علاوة على ذلك فإن علاقتنا بالعالم وإدراكنا الحسي له يكون من خلال جسمنا. ويبين لنا ميرلوبونتي أن من طبيعة

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ٦٩، ٧٠، ١٤١.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح"، ص ص ٦٤، ٦٥.

(٣) Charles Taylor: Merleau- Ponty and the Epistemological picture, Art in: Taylor carnon and Mark B. H. Hanson: Companion to Merleau-Ponty, pp. ٣٣, ٣٧, ٤٧, ٤٨.

الجسم أن يكون مُدْرَكًا ومُدْرِكًا في الوقت ذاته. وهذا الإدراك يتم بواسطة جسمي وفي جسمي. فجسمي هو الذي يدرك الأشياء<sup>(١)</sup>.

ينتمي جسمي للعالم المرئي، كما أن الرائي يغوص في المرئي بواسطة جسمه. ويتشابه الرائي والمرئي في نسيج العالم. إنه يرى ويتحرك ويمسك الأشياء من حوله، وهذه الأشياء ملحقة به أو امتداد له. إنها مغروسة في لحمه، فالعالم مصنوع من نفس نسيج الجسم. هذا ما يراه ميرلوبونتي في علاقتنا بالعالم. كما يرى أيضًا أن أعيننا الجسدية هي أكثر بكثير من مجرد مستقبلات للأضواء والألوان والخطوط، وعلى ذلك فإن سر الرؤية وسر كل إحساس يعود إلى الجسم الإنساني. فالأشياء وجسمي من نفس النسيج. وما يود ميرلوبونتي الوصول إليه هنا هو إثبات أن الإدراك الحسي يقوم على اعتبار وحدة وجودية مزدوجة، وهذه الوحدة تشمل الأنا المتجسد والعالم. وهذا هو الأساس الفينومينولوجي الذي يقدمه ميرلوبونتي للإدراك الحسي للعالم الذي ندرکه ونعيش فيه<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم فإن العلاقة بين الجسد والموضوع هي علاقة تفاعلية، حيث يتفاعل الجسد مع محيطه، ووفقًا لميرلوبونتي لن يكون الإدراك انفتاحًا على العالم، ولن يكون الجسد والموضوع حركة مستمرة إذا لم يكن الإدراك والجسد في حالة من التفاعل والمشاركة. وتؤكد فينومينولوجيا ميرلوبونتي تشابك تجاربي وتجارب الآخرين<sup>(٣)</sup>.

ترى لورانس قانين أنه بفضل "البدن" يختبر الإنسان ذاته ويتألم ويتمتع ويزدهر باحتكاكه بالأشياء. يتيح البدن للجسد بواسطة اللمس بأن يحس ويتأثر و "يعرف" الأشياء بمجرد الاحتكاك. يُفضل البدن أن يبلغ الجسد المعرفة لأن ذلك يغذي الفكر والتجارب التي التقط بشأنها المعطيات الحسية. فكل واحد منا يختبر جسده مباشرة، ويشعر بالألم

(١) موريس ميرلوبونتي: العين والعقل، ترجمة: حبيب الشاروني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص ص ٧-٩. وكذلك: هنري برجسون: الطاقة الروحية، ترجمة: علي مقلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٩٩، ص ص ٢٧ - ٢٩. وكذلك: موريس ميرلوبونتي: فينومينولوجيا الإدراك، ترجمة: فؤاد شاهين، معهد الإنماء العربي، ص ٨.

(٢) موريس ميرلوبونتي: العين والعقل، ص ص ١٣ - ٢١.

(٣) Fred Evans and Leonard Lawlor: Chiams Merleau-Ponty's Notion of flesh, sunny series in contemporary continent of philosophy Dennis J. Schmidt, editor state university, New York, ٢٠٠٠, pp. ٥,٨.

الذي يسببه له صعود منحدر الطريق أو متعة تناول شراب بارد خلال يوم حار من الصيف، أو متعة نسيم يهب على الوجه. باختصار يواجه الإنسان العالم بنمط الذاتية الوجودية في التجسد، أي أن يكون جسداً ويحيا جسده، ليس بصفة شيناً جامداً، بل ككيان حسي<sup>(١)</sup>.

أرى وأنا مرئي: هكذا أعني بالجانبين من كينونتي. ما هي رهانات هذا اللقاء بالغير، فأنا أدرك العالم الخارجي انطلاقاً من جوانبتي الخاصة. وهذا له بعد روحي لكن ليس الوعي وحيداً، بل يواجه الغير، "أنا" آخر. ولا ينطلق اللقاء بالآخر دائماً من الذات يمكنه أن يكون أمامي، تائه في خواطره ولا يراني. كذلك ما دام الغير لا يقصدني كوعي، فإنني مجرد موضوع خالص أمامه، كائن متشبيء، جسد متموضع، مما يمثل تهديداً للدخول في تواصل مع الآخر، بمعنى أنني في انتظار إشارة منه، وعندما يحدث ذلك، أدخل في علاقة تواصل معه. فأنا أعني جيداً أن وجودي لا معنى له دون العلاقة بالغير. هذه العلاقة هي أبعد ما يكون عن الصراع، فهي ترسم دوماً نوعاً من التبادل، نوعاً من الإنسانية الممكنة التي يتم فيها التشارك، أدرك ساعتها أننا نتواجد<sup>(٢)</sup>.

من الواضح أن الإنسان لا يُختزل في روح خالص. إنه كذلك جسد، لكن جسد حسي يُنظر إليه على أنه لحم. ويكمن الحصول على جسد واعٍ في العيش بالجسد، الإحساس، التأثر، التألم، هي كلها مكونات الحياة المعيشة. يحتفظ الجسد بالإحساس، وذلك من وجهة النظر الفينومينولوجية التي ترى ارتباط الإحساس بالبعد النفسي. ويعرف ميرلوبونتي هذا العنصر بوصفه منظومة من القوى المحركة أو القوى الإدراكية؛ فليس جسدنا موضوعاً لـ "أنا أفكر"، بل إنه مجموع الدلالات المعيشة<sup>(٣)</sup>.

بهذا يتميز هذا العيش المتجسد بالأحاسيس والمشاعر والانفعالات والعواطف والخواطر. على منوال ذلك، يبقى الإنسان في علاقة بالعالم عبر الإحساس، لأنه على مستوى الأنا التجريبي يدرك الوعي أنه منغمس في العالم. يقول ميرلوبونتي: "جسدي هو

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ٧١، ٧٢.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح"، ص ص ٦٥، ٦٧، ٧٠.

(٣) لورانس قانين - فيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح"، ص ص ٥٩، ٦٠.



مرئي ومتحرك وينتمي إلى الأشياء، إنه أحد هذه الأشياء، فهو مرتبط بنسيج العالم وتماسكه هو تماسك الشيء. لكن على اعتبار أنه يرى ويتحرك، فهو يجعل الأشياء تحيط به، لتصبح قطعة منه وامتداداً له. فهي منغرسه في لحمه، وتنتمي إلى تعريفه التام. والعالم مركب من قماش الجسد نفسه<sup>(١)</sup>.

يجسد الإنسان كذلك كينونة الوعي القادر على ربط علاقاته بغيره فأن يكون أحدهم وعياً أو تجربة، معناه التواصل داخلياً بالعالم والجسد والغير. أن يكون معهم بدلاً من أن يكون بجانبهم. كما تشهد إدراكات الإنسان ومواقفه على الانفتاح على العالم. كذلك يؤثر الإنسان على العالم بقصدياته وأفعاله. فهو يريد أن يكون قصدياً حضوراً في العالم، ويرتبط هذا الحضور باليقظة والانتباه الكامل للأشياء وبالمشاركة<sup>(٢)</sup>. فأنا أختار أفعالي وأحدد بها. أتملكها وأعي ما أفعله. وجودي في العالم هو انفتاح تام للوعي نحو الخارج.

لا شك في وجود إجراء مزدوج للجسد: جسد "محرك" نتحرك به، وجسد "متجسد" هذا الجسد الذي يُختبر ويبتلى في بدنه. ويدل البدن على الهوية للمسية للإنسان ويتجاوز بذلك ثنائية الجسد والنفس. يتوسطها جسدي (بدني). ولكن ينبغي تبيان أن ما أقصده "بالوساطة" يأتي من دلالتين مترابكتين: "المباشرة" أي الشعور بها من طرف البدن. والوساطة التي تجعل الجسد في اتصال بالعالم. لأنه عبر البدن لا حاجة إلى وسيط لإرساء علاقة مع ما أحياء داخل الشعور. فأنا أشعر إذن مباشرة. لا شك أن البدن يمكن تصويره بوصفه "إنية" أي البدن عينه أو البدن الخاص، كما توضح لورانس فانونين<sup>(٣)</sup>.

ج- الوعي وأنطولوجيا الذات:

يدرك الوعي ذاته، لكن يستهدف كذلك الأشياء من حوله. يشكل هدفاً قصدياً، وليس فقط عودة إلى الذات. فهو قادر على إدراك ما هو خارج ذاته. إنه يدل على انكشاف الذاتية التي هي دائماً غير ما هي عليه، إنها تتجدد باستمرار، وهو يختبر ذاته في العالم أكثر من أن يختزل في القصد. فالإنسان هو الكائن الذي يشعر ويتألم ويمتعض

(١) المصدر نفسه، ص ص ٦٠، ٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧١.

(٣) لورانس فانونين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ٧٢، ٧٣.

ويتأثر ويبأس ويبيكي ويضحك. إنه محط كل هذه الأحوال المتعاقبة. فهو يناسب "أنطولوجيا الذات" وهذا ما تقصده لورانس فانين بـ "الذات الفاعلة" أو معيش الوعي في اتصال مباشر بالمحيط<sup>(١)</sup>.

وضع ديكارت تعريفاً جديداً بعد سلسلة من التأملات والتركيز على الذات. في ختام السلوك، يتوصل الإنسان الذي يشك في معارفه إلى إدراك الوعي لذاته. كل وعي إذن هو وعي بالذات "أنا أفكر إذن أنا موجود" لا مجال للوساطة، حيث يُختبر الوعي في فعل التفكير ذاته، وفي الوحدة الذاتية "هوية" الأنا بوصفها الذات المفكرة. مما يدل على علاقة الذات بذاتها، لذا يرى ديكارت أن كل واحد لديه القدرة على اختيار ذاته. ولكن ينبغي وضع الآخر في الاعتبار لأن العلاقة بالآخر هي حصيلة الحكم. وينبغي القول إنه يتوافق حضور الذات مع فعل التفكير. ويشكل الوعي وإدراكه لذاته بذاته لحظة بلحظة العودة إلى الذات، والتركيز الفريد والاستثنائي والحقيقي والتأملي. فهو يدل على الانطواء على الذات<sup>(٢)</sup>.

أما حينما يتحدث ميرلوبونتي عن الكوجيتو، أو الشعور بالذات، فهو لا يتحدث عن كوجيتو فردي فيه وجود الذات من أجل الفكر، بل عن وجودي في العالم، وجودي مع الآخرين. ولذا فإن العالم ليس هو ما أتفعله، مثلما يرى ديكارت، بل ما أحياه. وليس هو ذلك العالم الذي أفكر فيه، بل الذي أعيشه. ولذا فإنني منفتح عن العالم. وحينما يتحدث ميرلوبونتي عن "فينومينولوجيا الجسم" فيرى أنه كما أن القول يعبر عن الفكر، فكذلك الجسم يعبر عن الوجود. إنني لا أعرف جسمي إلا بقدر ما أحياه، وأختلط به، وأمزج وجودي بوجوده<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ص ٩٠، ٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٨٩، ٩٠.

(٣) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج ١، مكتبة مصر، ١٩٦٨، ص ص ٥١٣، ٥١٨.

And: Mark A. Warthall: Reason and Canses, Ant in: Taylor carnon and Mark B. H. Hanson: a companion to Merleau-Ponty, p. ١١١.

و: ميرلوبونتي، فينومينولوجيا الإدراك، ص ص ٨ - ١٣.

يرى ميرلوبونتي أن العالم ليس شيئاً نفكر فيه فقط، ولكنه المكان الذي نعيش فيه، بما لدينا من مشاعر وآمال، وكذلك محاولة لمعرفة الظواهر. وعلى ذلك فإن مشاركتنا في العالم تعني إدراكنا للعالم وانفتاحنا عليه كظاهرة وجودية. ومشاركتنا في اشتباكننا في هذا العالم، وهو ما يعبر عنه ميرلوبونتي بـ "علم الوجود الجسدي" الذي يعبر عن الانفتاح على العالم. فعلم الوجود الجسدي يسمح لنا بأن نرى بعيون متجددة، وأن نلمس بطرق متجددة، وبأيد متجددة، لنعبر عن صلة متجددة بالعالم قائمة على الحركة والوعي. وهذا الانفتاح على العالم، والمشاركة فيه يوفر لنا إمكانية جديدة لفهم "الكوجيتو"، ليس فقط من أجل الإمساك بحقيقة "أنا أفكر"، ولكن أيضاً من الأشياء التي نعتقد فيها من خلال وجودنا المعيش، ومن خلال الواقع الحي، مما يمثل التواصل والمشاركة بين الذات وIntersubjectivity<sup>(١)</sup>.

يدل الوعي على تفتق الذاتية التي هي دائماً غيرها، ودائمة التجدد. فهي تختبر العالم ولا تُختزل فقط في القصد. الإنسان هو جملة هذه الأحوال المتواترة: فهو يشعر ويتألم ويغضب ويثأر ويبأس ويضحك. يتبعثر في العالم ويشغله ويسكنه، حتى وإن صدمه هذا العالم وطارده بالمقابل. يعكس الإنسان شكلاً من أنطولوجيا الذاتية، وهو ما اصطلح عليه اسم "أن يكون ذاتاً فاعلة". أستحضر كذلك "معيش الوعي" في اتصال دائم مع البيئة. يتراءى تجسيد الذاتية في تلك الفيوض في العالم بوصفها تواليًا في تفتح الذات، وانفتاحًا على الغير وعلى الأشياء<sup>(٢)</sup>.

يمكن أخذ الذاتية المتجسدة على أنها امتدادات في العالم، سلسلة من الانفتاحات الذاتية على الغير وعلى الأشياء. يتعلق الأمر باستمرارية "الأنا" في الزمن، ويتزامن الوعي مع ما يعيشه. وإذا كان هناك بدن يميز معيش الجسد في تجسده الحسي، هناك أيضاً

(١) Eric Mahews: Merleau-Ponty, A guide for the pre plexed: Manchester Printed and Bound in Great Britain, ٢٠١٠, pp. ٢٠, ٢١. and: Merleau-Ponty: The primacy of perception, and other essays on phenomenological psychology, the philosophy of art, History and politics, translated by: James M. Edie, North western university press, ١٩٦٤, pp. ٩-١٢, ٢١, ٢٢. and: Bryan A. Smyth: Merleau-Ponty and the realization of philosophy, London, New Delhi, New York, Sydney, ٢٠١٤, pp. xxiv, xxvii, I, ١١٧, ١١٨.

(٢) لورانس فانونين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ١٤١.

وعى حدسي يختبر العالم ويتواجد فيه. لا تشكل العاطفة فحسب خضوع العقل، بل تدل كذلك على تجسد الذات في العالم. فالإنسان مركب من جسد ومن بدن (لحم) من جهة، ومن جهة أخرى وعى عقلائي ووعي حسي. والفكر الذاتي هو لحظة يتزامن فيها الإنسان مع نواته العقلية بجهد في التركيز<sup>(١)</sup>.

يُنظر إلى أحوال الوعي بوصفها انكشافات وتفرقات لهذا الوعي الذي يشعر بمختلف الأحوال عندما يصير حسيًا وتلقائيًا. كذلك يتميز بقدرته على التركيز، بمعنى أنه يجمع كل هذه الأحوال في "الأنا" عندما يتم التفكير فيها. يمكن للوعي إذن أن يجمع في ذاته مختلف الوضعيات "الوجدانية". عندما يقول الوعي "أنا" فهو يصير بمبدأ التعقل هذا الوعي العقلائي الذي يشاور ويحكم ويفكر<sup>(٢)</sup>.

#### د- الوعي والحكم الأخلاقي:

يحدد الوعي على أساس علاقته بالأخلاق، ومن ثم بتأكيدي لذاتي، فلم يكن الأمر، كما تراه لورانس قانين، يتعلق بأن يكون الإنسان واعيًا فقط، إنما أن يكون وعيًا وضميرًا. وهذا يرتبط بالشعور بكونه ضميرًا حيًا أو وعيًا تعسًا. كما يدل على شعور الإنسان بالذنب أو الاطمئنان إزاء حكمه تجاه ذاته وتجاه أفعاله. ومن ثم فإن الوعي هو هذا الحاكم الباطني القادر على تقييم ذاته، وعلى الإدلاء برأيه حول أفعاله. باختصار إنه الوعي الأخلاقي<sup>(٣)</sup>.

هذا الوعي الأخلاقي حاضر، ويقظ، وفاعل، ويبدو أن الإنسان قادر على صياغة تقديراته حول ذاته وحول الأشياء. يتيح له هذا الأمر تأسيس الأخلاق. بدأ الوعي إذن بكونه أخلاقًا. ومن ثم تتوصل الذات إلى أن تكون الحاكم على ذاتها وعلى أفعالها. تلاحظ أفعاله وتحللها وهي في الوقت ذاته صاحبة تلك الأفعال. ويتصرف الإنسان بهذه القدرة المزدوجة على الوعي الذاتي والموضوعي. وكما يقول روسو Jean – Jacques Rousseau (١٧١٢ . ١٧٧٨) : "ما عليّ سوى أن أستشير ذاتي حول ما أنوي القيام به:

(١) المصدر نفسه، ص ص ٩١، ٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٣) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ٨٧.

كل ما أراه خيرًا فهو خير، وكل ما أراه قبحًا فهو قبيح. لا يوجد أحسن مسوغ من الوعي"<sup>(١)</sup>.

إذن الوعي عند ميرلوبونتي ليس وعيًا مجردًا، بل إنه الوعي بالموجود في العالم. "فنحن موجودون". ووجودنا يدمج ثنائية الجسد والروح، الإحساس والعقل عن طريق وصف الظواهر وتحليلها بطرق جديدة، وهذا يمثل انفتاحًا على العالم من أجل استكشاف الظواهر من ناحية، وفهم علاقة الوعي والطبيعة النفسية والاجتماعية من ناحية أخرى. ويمكن القول إن الوعي الفلسفي هو موضوع التفلسف عند ميرلوبونتي، ذلك الوعي الذي يجعلنا نفكر في العالم وفي الآخرين. أما علاقة الوعي بالجسم فهي علاقة وجودية كما سبق القول<sup>(٢)</sup>.

يختبر الوعي في عمق الصراع الذي يغذي العلاقة بين الخير والشر، بين الرغبة في حسن التصرف الذي يصاحبه، وكذلك التقصير أو الإخفاق. يمكن للإنسان إذن أن يختار ويقرر أن يعيش وفق الخير أم لا. وهنا يكمن الوعي في الحكم الصحيح على ما يراد فعله. معنى ذلك أن الإنسان يتوصل إلى الحكم على قيمة أفعاله. يقيم ما يفعله لأنه يحمل نظرة نقدية<sup>(٣)</sup>.

يتقدم البشر في فهم الظواهر، ويرون بأن عقلم يصير ناجعًا ويمكنه بلوغ الحقيقة القصوى، مما يوفر لهم الشعور بالتقدم نحو الحقيقة والأمان والهدوء. لكن دون الأخذ بعين الاعتبار التعقيد الشديد للكون. فالإنسان المهموم، كما ترى لورانس فانون، يعيش الكدر، ذلك الكدر الذي يحياه الإنسان. يبدو أنه اضطرابه الجواني الذي يرتبط بالأثر الذي تركه فيه لقاءه بالعالم الذي يحيط به ويلمسه ويبهره. فالإنسان يتكدر

(١) المصدر نفسه، ص ص ٨٧، ٨٨.

(٢) Maurice Merleau-Ponty: The structure of behavior, translated by: Alden L. Fisher, Beacon Press, Boston, U.S.A., ١٩٦٧, pp. xiv, xvi, ٣.

و: زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ٥١١. و: حبيب الشاروني: فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤، ص ١٦٣.

(٣) لورانس فانون - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجات الفلسفية"، ص ٨٨.

بالأحداث المبالغية التي يواجهها. والتغيرات التي لم يتهياً لها تنتج الانفعال وتسبب له الاضطراب والارتباك عندما تتسارع التغيرات<sup>(١)</sup>.

هـ- من العين والعقل إلى الروح والحرية والفن:

يفتح الإنسان عينيه على العالم ببراءة عندما يولد، فينتقل من الظل إلى النور. تتضح رؤيته تدريجياً، وبمقدار ما تتخذ الصور التي يشاهدها معنى، فهو يلحظ، بالموازاة مع ذلك، تطوراً في روحه. في الواقع من الإحساس إلى الإدراك، يبدو أن العين والروح يرتبطان بشكل وثيق، ويكملان بعضهما بعضاً في مسار الفهم والنمو العقلي. وعلى ذلك توضح لنا لورانس قانون أن الطريق الحقيقي للحب الذي نسلكه بذواتنا وبتقاد به هو الذهاب من الجمال الحسي والارتفاع باستمرار نحو الجمال فوق الطبيعي، حتى بلوغ الجمال المطلق، غير أن هذا الوعي بوجود جميل خالص تبلغه العين الروحية من داخلنا. فعلى الروح أن يسعى في مساره لكي أخرج من غريزة النظر الذي يصوبني بطبعه نحو الأشياء الحسية، ومن ثم يتيح له الوعي إدراك الأشياء عقلياً وإفلات من العتبة الأولى للرؤية. وعليه ترى لورانس قانون أن التفكير هو يقظة عيون الروح. وتشجع هذه اليقظة على التفكير بالذات، ومن ثم على التفلسف<sup>(٢)</sup>.

إن الحديث عن الروح ينقلنا للحديث عن الفن والحرية، فالحرية هي جوهر الإنسان والمعرض الأساسي للاختيار والإبداع، إنها طاقة غير محدودة على الإبداع، كما أنها لا تتفصل عن الوعي، بل إنها قرينة ذلك الوعي ومن ثم تدعونا لورانس قانون ليقتطع عيون الروح، وهنا تتمثل أصالة لورانس قانون في كونها ليست ناقلة لآراء الفلاسفة، وإنما لها رؤية عملية ترتدي ثوباً جديداً لتوعية الإنسان بدور الفلسفة في حياتنا المعاصرة. إن الحرية عند ميرلوبونتي هي صميم الوجود الإنساني. فحريتي كفرد أن أقف نفسي في التزامي تجاه العالمية التي تعني مشاركة الآخرين، ومن ثم فإن حريتي هي

(١) المصدر نفسه، ص ص ٤١، ٦٧، ٦٨، ٦٩.

(٢) لورانس قانون - فيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح"، ص ص ١٩، ١٢٣، ١٢٤.

قدرتي كفرد على الانغماس أو الانخراط في العالم والمشاركة فيه. وعلى هذا يتطلب مفهوم الحرية أن يغوص قرارنا في المستقبل. فالحرية خيار يتجدد باستمرار<sup>(١)</sup>. وإذا عدنا لتناول الوجودية، فيمكن القول إن رؤية ميرلوبونتي للوجود تعبر عن وجودية كونية تتبع من العالم، وهذا ما عبر عنه ميرلوبونتي في كتابه "فينومينولوجيا الإدراك الحسي". فالإدراك الحسي يعبر عن وحدة وجودية مزدوجة تشمل الأنا المتجسد والعالم. كما أن الفلسفة الحقيقية هي ذلك الوصف الفينومينولوجي الذي يقدمه ميرلوبونتي للإدراك الحسي الذي ندركه ونعيش فيه<sup>(٢)</sup>.

إن الحرية كما يتصورها برجسون Benri Bergson (١٨٥٩ - ١٩٤١) هي عين ديمومة الذات، كما أن الفعل الحر يصدر في الواقع عن النفس جمعاء، وليس عن قوة معينة تضغط علينا، أو عن باعث الذات يتغلب على غيره. يقول برجسون: "محمل القول هو أننا نكون أحرارًا عندما تصدر أفعالنا عن شخصيتنا بأجمعها، ويكون بينها وبين هذه الشخصية ذلك الشبه الذي نجده أحيانًا بين الفنان وإنتاجه"<sup>(٣)</sup>. وعلى ذلك فالفعل الحر

(١) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ٥٢٢.

And: Beacon Press: selections of Merleau-Ponty, reprinted By: Permission of Beacon Press, pp. ٣٤, ١٤٩.

و: موريس ميرلوبونتي، فينومينولوجيا الإدراك، ص ص ٣٥٢ - ٣٦٤.

(٢) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ص ٥٢٩ - ٥٣١.

(٣) حبيب الشاروني: بين برجسون وسارتر، أزمة الحرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص ص ٣٦، ٣٧.

قارن: Henri Bergson: Time and free will, "An essay on the Immediate Data of consciousness, Authorized Translation by: F. L. Pogson, Harper Touch books, The Academy library, New York, ١٩٦٠, pp. ١٦٦-١٧٢.

قارن: هنري برجسون: المعطيات المباشرة للشعور، ترجمة: كمال يوسف الحاج، منشورات كنوز الفكر العربي، بيروت، ١٩٤٥، ص ص ١٠١، ١٠٣، ١٠٤.

قارن: ج. بنروي: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مراجعة: ثابت الفندي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤، ص ٢٠٥.

الحر عند برجسون وحدة حقيقية ومتعلقة بالحدس، ويمكن فهمه مباشرة بالوعي، فنحن نعيش وندركه بداخلنا، وهو لا يتكرر أبداً، إذ ليست هناك حالات نفسية تتكرر أبداً<sup>(١)</sup>.  
 أما بخصوص الفن فهو يسهم في التعريف بالجميل. أي بالارتفاع من الجمال الحسي إلى فضيلة الجميل الباطني، فتصبح النظرة استبطانية عندما تتكشف لذاتها بإخلاص، فهي تفتح إذن الطريق نحو الروحانية. ومن ثم ترمز العين إلى بلوغ المتعالي بالتفكير<sup>(٢)</sup>.

إنني جسد (جسم أو لحم) كما سبق القول. وهنا يرى ميرلوبونتي كيف أن الفلسفة مسألة تغيير طريقتنا في رؤية العالم، فالفلسفة تعلمنا إعادة النظر في تعلمنا كيف نرى العالم. وهنا يركز ميرلوبونتي على الفن الذي يجعلنا نرى الأشياء والعالم بشكل مختلف<sup>(٣)</sup>. ويرى ميرلوبونتي أن العين أكثر بكثير من مستقبلات للأضواء والألوان والخطوط، ذلك هو الجانب المرئي، وفي المقابل يجب تكرار رؤية الظاهرة من خلال الطبيعة من الداخل، حيث الجودة والعمق والكيف، وذلك هو الجانب اللامرئي الذي يأتي من الداخل. فاللوحه الفنية مثلاً: هي ازدواجية الشعور "الداخل والخارج" وبدون هذه الازدواجية لن نفهم الوجود، وكل هذا يمثله مخطط جسمي الذي يشمل الحياة الفعلية<sup>(٤)</sup>.

يبحث الإنسان المتذوق عن المتعة الجمالية، حيث يعطيه الوجدان المرتبط بالمتعة التأملية الانتطباع بأن العلاقة بينه وبين العالم تمتد باستمرار: "العين التي ينعكس عبرها جمال الكون في تأملنا، هي من الامتياز ما يجعل من يفقدتها يحرم نفسه من تمثل الطبيعة. وفضل العين تمثل النفس أشياء الطبيعة المتنوعة". فنحن حينما نرى منظرًا

(١) Jacque Chevalier: Henri Bergson, Authorized translation by: Lilian a Clare, London, ١٩٢٨, p. ١٣٩.

Henri Bergson: Time and freewill, p. ٢٠٠.

قارن:

(٢) لورانس قانين - فيرنا: من العين إلى الروح، ص ص ٢٠، ٢١.

(٣) Eric Mahews: Merleau-Ponty, a guide for the pre plexed, pp. ١٧, ١٨.

(٤) Williams S. Hanrick: An Existential phenomenology of Law: Maurice Merleau-Ponty, spriner-science, Business Media, B. V., Library of Congress, ١٩٨٧, p. ٢٣. And: Meleau-Ponty: The primacy of perception, and the essays on phenomenological psychology, the philosophy of politics, pp. ١٦٤-١٦٨, ١٨٢.



طبيعياً مثل غروب الشمس، أو البحر، فإن هذا المنظر يتجاوز الواقع، فهو ليس مجرد رؤية للعين، وإنما هو تأمل للروح<sup>(١)</sup>.

لذا يتجاوز الفن الطبيعية بمحاكاتها لأنه يريد أن يكون خلأفاً، يتسامى على الحقيقة الواقعية بإعطائها أفقاً آخر، ويمنح الأثر الفني خلوداً ممكناً كما يحيل الفن إلى القصد الذي يعطي فيه الوعي للمادة الشكل والحياة. حيث يتحدد الفن بزمن الفنان المنتج له ومكانه. كما يتيح الفن للمتأمل أن يشعر بأحاسيس يعجز عن الشعور بها نفسه، حيث يعبر الفن عن وعي الإنسان بذاته. والتعبير عن أثر العقل في الطبيعة<sup>(٢)</sup>.

حقيقة الأمر، يترك الفن بصمة الروح على الطبيعة، ويحقق الأثر الفني الاتفاق بين الحسي والروحي. ولكن: كيف يتم مجاوزة الرؤية بالعين لبلوغ الرؤية الروحية؛ وهنا يمكن القول بأن الجمال الأرضي والافتنان بهذا الجمال يسمح لبلوغ الجمال السماوي (بالمعنى الكوزمولوجي للكلمة). فنحن نتأثر إذن بانسجام العالم، لأنه من طبع النفس أن تتأثر بالفضيلة، على منوال ما نراه من جمال في هذا العالم، نرتفع جدلياً ونفكر ونتجه نحو عالم الأفكار: الجميل، الحق، العادل، الخير، الاعتدال. هكذا تنطبق الأشياء مع أشكالها. وهذه الأشكال هي الأفكار التي أتمثلها انطلاقاً من باطني<sup>(٣)</sup>.

إننا نتجاوز الرؤية الفيزيائية المرتبطة بالعين، لكننا نشير بالأحرى إلى رؤية متساوية وإلى تصور عقلي. هناك إذن توافق بين الفكرة والنفس التي تتأملها. هناك علاقة تذوق بين النفس والشيء المعطى لنظر الروح. وتعرض لنا لورانس قانين كيف أن مجاوزة الحس وحقل النظر المباشر يتيح لنا الانتقال للتفكير في موضوع الرؤية. كذلك يتيح استعارة الرؤية فهم أن وراء الحس يمكن للإنسان أن يبلغ المعرفة المتوهجة نوراً، حيث تعبر هذه المعرفة عن الفكرة التي تمثل شكل الحياة العقلية. وحياة الأشكال في جماليتها المنثورة هي هذا اللغز الباطني. هذا الغموض الذي يقتضي السبر للوصول إلى العالم الفاضل للقيم الروحية<sup>(٤)</sup>.

(١) لورانس قانين - فيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح"، ص ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ١٠٦، ١٠٧.

(٣) لورانس قانين - فيرنا: انظر وفكر "من العين إلى الروح"، ص ص ١٠٧، ١١٦، ١٢١.

(٤) المصدر نفسه، ص ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٣.

## رابعاً: الحرية (التفلسف من أجل فعل الكينونة)

أ- الأخلاق هي المسمى الآخر للحرية:

تعتبر لورانس قانين عن أن الإنسان المهموم يختبر العالم، يستسلم له. وفي النهاية يتعلم كيف يراه بشكل مغاير. فنحن نعيد العالم في أنطولوجيا اللحظة الراهنة. وإذا كان صحيحاً أن الأخلاق اتخذت من الأوامر الديكتاتورية بغية تعطيل الفعل البشري الحي والخلق، يجعله فعلاً خاضعاً لقاعدة، ومذعناً لمبدأ، فإن الأمر يختلف تماماً مع ما تريد لورانس قانين تبيانه من أن الأخلاق هي المسمى الآخر للحرية، حرية التصرف، وحرية الاختيار والقرار وحرية المسؤولية، وتحمل تبعات الفعل. الأخلاق الحققة هي تلك التي تحرر وتعلم المسؤولية الفردية والجماعية وتربط الإنسان بذاته وبغيره<sup>(١)</sup>.

وتوضح لورانس قانين أن الإنسان المهموم هو من يعيش في عالم آلي ميكانيكي، يُعامل فيه الإنسان كأداة، وعندما تطغى الآلية، ويصبح المجتمع استهلاكياً، تضيق الذاتية والحرية معاً، وكذلك الإبداع. ولذا فإن السبيل للعودة للذاتية، كما ترى لورانس قانين، هو التحرر من وطأة المجتمع الاستهلاكي بحثاً عن الذات وعن الحرية، ولكن هذه الحرية ليست حرية فوضى، وإنما حرية التزام وعمل. وهذا ما تؤكد الوجودية من ارتباط الحرية بالأخلاق.

إن الإنسان مُلقى في العالم، هذا هو المعنى الدقيق لكلمة وجود، لكن هذا لا يقتضي أن مجيئه في العالم يرادف الفهم المباشر للبيئة التي ينشأ فيها. ويحاول الإنسان منذ الطفولة أن يستأنس بما يحيط به. فكلمة وجود معناها أن يكون لنا حضور في العالم، سواء أكان عقلياً أم حسيّاً. هذا يناسب الحضور في العالم. والكينونة هنا، بكل بساطة، تظهر الموجودات، وتلتقي. فلكي يكتشف الإنسان وجوده، تصيبه في البداية حالة ذهول، مما يثير فضوله وحيرته. ومن ثم فإن الربط بين مختلف الأحداث يساعده على التأقلم مع بيئته وجعلها مألوفة. هذا يطمئنه ويشفيه من قلقه ومن الشعور بالإحباط<sup>(٢)</sup>.

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ٧ - ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٩، ٣٠.

تؤكد الفلسفة الوجودية أن الفلسفة سلوك فكري يمهد للفعل، وهنا تصيح الحقيقة الوجودية للإنسان أمام امتحان. يسعى الوعي لأن يتحقق من معرفته، وكل حدث معيش يضعه أمام وضعية طريقة يعمل على التأقلم معها، وليس في وسعه سوى التقدم. إنه وعي قصدي. حيث تمارس القدرة عبر خياراتنا، بوصفها حليف العقل، وهنا تجسد الإرادة قيمة إنجابية، على أساس أنها تكمن في استخلاص الشخصية الفذة في هذا العالم المشترك، والذي يدأب كل واحد منا أن يجسدها في ذاته، بقدر ما يشيد تاريخه. والمحك هنا هو اختيار الحرية كمحرك للفعل. هذا الفعل تدعمه الإرادة<sup>(١)</sup>.

كما أن بعض القناعات الأخلاقية لا تجد معناها سوى في الفعل، أي في التجربة التي ينخرط الكائن في كليتها. ويعد الفعل شكلاً من الخلق، مشروعاً ناضجاً يسعى لأن يُحقق. ويستلزم القرار الإرادي وعياً نبيهاً ينبيره التفكير، حيث يتأمل الوعي في مشروعيته ما يهدف إليه. وفي ختام فحصه النقدي، يختار الوعي بأن يتحقق، غير أن الإرادة هي أيضاً قدرة الرفض أو العدول. وهنا تتضح قيمة الفلسفة، حيث تتيح لي ممارسة الفلسفة التحكم في رغباتي وأفعالي<sup>(٢)</sup>.

يتجلى الإنسان في العالم بأفعاله من منظور الغير، مجموع أفعاله وتعبيراته تُدرك بوصفها "فينومينولوجيا الوجود من أجل الفعل" غير أن الواقع الوجودي يبرز أنني تارة فرحاً، وتارة أخرى غاضباً، وكل هذا يُظهر الأحوال الحسية لوعيي في ضوء واقع أتحرك فيه، لكن مجموع الأحوال تتركز في الذات وإعادة التفكير في الذاتية، التي تتبدى في دلالة مزدوجة: بوصفها "فكرًا خالصًا" أو في نمطها المبدئي، وبوصفها "وعياً حسياً" و"حديسياً" ينكشف في العالم، يشعر، ويتعلم، ويفهم مختلف الأحوال الوجدانية المتتابعة، يساعده في ذلك الجسد الذي يتبدن أو يصير (لحمًا)، ومن ثم يدرك الإنسان بأنه ليس مجرد وعي بارد، بل إنه سيد أفكاره<sup>(٣)</sup>.

(١) لورانس قانونين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ٧٩، ٨٠، ٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٣) لورانس قانونين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ٩٢، ٩٣.

وإذا قمت بإثبات أن الشخص له قلب، فإني أشير إلى "ذكاء القلب" بحكمة أن هذا الأخير، ليس مجرد عضو أو عضلة، ولكنني أفصد الذكاء الحسي الذي يرفع الإنسان إلى مزيد من الإنسانية والسخاء والشرف. وأن يكون الإنسان إنساناً هو أن يجمع في ذاته كل خصائص الإنسانية. فلا يدل الإنسان على أنه مجرد كائن في العالم، بل إنه كائن من أجل الذاتية الحسية، كائن من أجل انكشاف الذات، مُلقى في العالم نحو الآخر، ومن ثم فهو أحياناً مرح، ومضطرب، وأنا مبعثر ومتدفق ... إلخ<sup>(١)</sup>.

يجمع الوعي مختلف الأحوال الوجدانية والعقلية، وعندما يقول الوعي "أنا" فإنه يصير مركز المعنى، وتكون له القدرة على المشورة والحكم والفحص، ويصبح المقر الذاتي لمجمل القرارات التي يتخذها. وهنا تتبين الحقيقة الوجدانية بأني تارة "سعيد" وتارة أخرى "مفتون" أو "غاضب" أو "مرح" يكشف كل هذا عن أحوالي في الوعي، وهي أحوال حسية بالمقارنة مع حقيقة واقعية "تحركني" بقدر ما أتحرك فيها، حيث يمكن أن تتوحد حقيقتها الكلية في الهوية العقلية، وفي الفكرة يتبين إذن تدمير الذات الديكارتية، غير الحسية، كما لو كانت منفصلة عن العالم<sup>(٢)</sup>.

وهنا تكشف لورانس قانين عن الذاتية. وترى أن الذاتية تعبر عن ذاتها في مدلول مزدوج: بوصفها فكرًا خالصًا (مرتكزًا على ذاته ومتوجّهًا نحو شيء آخر)، وكذلك في صيغتها الأولى، وعيًا حسيًا كما عرفته، الذي يتفق في العالم، ويشعر، ويتعلم، ويفهم بمختلف أحواله الوجدانية. يساعده الجسد عندما يصير بدنًا (أو لحمًا) فأن يكون إنسانًا معناه أن يكون مهمومًا وقلقًا بما يدركه عقليًا أو حدسيًا. هناك إذن عواطف عقلية وحدوس حسية تشكل كلها الأنا في وجودها المعيش<sup>(٣)</sup>.

وهنا يكون السؤال متى يكون لوجودنا معنى؟

وهل الحياة تستحق أن تعاش؟

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ١٤٢، ١٤٣.

وما قيمة الفلسفة ودور التفلسف في الوعي بالوجود والحرية ونفي العبث وخلق قيمة للحياة؟

كل هذا سيتضح من خلال تناول قيمة الحياة عند كل من ألبير كامي وجان بول سارتر.

ب- عبثية الوجود والبحث عن المعنى:

يتشكل الإنسان انطلاقاً من لقائه بالعالم الذي يتواجد فيه، ويتعقل، ويحيا. يدل الإنسان على قوة الفعل ويتميز بقدرته على الجهد والتحول والإبداع. يكفيه أن يركز على ذاته ليثبت وحدة الأنا في تنوع تحولاته. ومن المذهل أنه بدلاً من أن يبتهج الإنسان بالحرية ويكون سيد مشاريعه، فهو ييأس أو يقلق، فيكون لديه شعور غائر وعميق نحو الوعي باللامعنى، كما يشير ألبير كامي في أسطورة سيزيف. حيث يعي الإنسان في صلب شرطه الوجودي بأن كل شيء هش وخطر. عندما يطرح الإنسان سؤال ما يبرر وجوده في العالم فإن غياب المعنى يدوي في وعيه<sup>(١)</sup>.

(١) ألبير كامي (أسطورة سيزيف وقيمة الحياة):

ألبير كامي ذلك الروائي الفرنسي، له نشاطه المسرحي، والذي انتقل إلى باريس سنة ١٩٤٠ في حركة المقاومة. وبعد تحرير باريس أصبح رئيساً لتحرير جريدة الكفاح (الكومبا) Combat. ناضل كامي من أجل الحرية والعدالة، وتأثر بموجة الفكر في أوروبا بما فيها من قلق وحيرة، وبحث عن الإنسان ومصيره. تعلم كامي بالخبرة المعيشة والمعاناة كيف أن الأخلاق الإيجابية للإخاء الإنساني يمكن أن تتولد بواسطة اتجاه عمي تجاه القيم، مع خلق قيم جديدة. حيث كان يتحدث عن حبه للعالم، وعن قدره المحتوم الذي مآله الموت لامحالة، وعن أحلامه المشتركة بينه وبين إخوانه من بني البشر، خاصة وأنه عاصر الوحشية والقسوة وظلم الإنسان لأخيه الإنسان. ولكنه - وعلى

(١) لورانس فانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ٩٨، ٩٩.

المستوى الأخلاقي - يرى إمكانية معالجة هذه الوحشية في المجتمع الإنساني شأنه شأن كثير من الوجوديين<sup>(١)</sup>.

من هنا يرى كامى أن الرفض المستمر للعالم لا يعني نفي العالم ولا العزوف عنه، بل كل ما يعنيه هو التحدي، هو الوسيلة الوحيدة التي يحافظ بها الإنسان على كرامته، ويحس بالنتائج المترتبة على ذلك ألا وهي: التمرد والحرية<sup>(٢)</sup>. وعلى ذلك فإن الإنسان يدخل تاريخه الحقيقي عندما يسأل عن معنى الحياة، وهل تستحق أن تعاش أو لا تستحق. كما أن كامى لا يعتقد في شيء اعتقاده في حقيقة التجربة المعيشة. ويرى كامى أنه: تعاش الحياة خير ما تعاش بقدر ما تخلو من المعنى<sup>(٣)</sup>. فعند كامى أن الحياة لا معنى لها - إذن فلنثر ولنتمرد عليها كما هي مع بقائنا منغمرين في أعماقها، نتحدى العدم، وإذا متنا متنا تائرين لا مستسلمين. وهذا هو الجديد في موقف كامى الذي يتحدى الوجود والعدم معاً. فهو يتحدى الوجود بأنه يسلم بأنه عبث، ويتحدى العدم لأنه يرفض التسليم له بالانتحار. ونستطيع أن نجمل موقف كامى هنا في عبارة واحدة: "عش تائراً على الحياة وامت تائراً على الموت!"<sup>(٤)</sup>. وكما يرى كامى أن الحرية تنبثق في نفس اللحظة التي يبدأ الإنسان بها وجوده نفسه<sup>(٥)</sup>.

كل شيء أصم وعبث. لا يحصل الإنسان على أي جواب، ويشعر بنوع من الخواء والحزن. غياب التسويغ يحيطه. يبدو الإنسان مهموماً، يتسلق صراحة أهدود

(١) Frederick Olafson A: Albert Camus, Art in Encyclopedia of Philosophy, vol (٢), pp. ١٥, ١٦. And: Scott Nathan A: Mirrors of man in existentialism, New York, Clevel and London, ١٩٧٩, p. ١٢٠.

(٢) عبد الغفار مكاوي: ألبير كامى، محاولة لدراسة فكره الفلسفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤، ص ص ٧٠، ٧٤.

(٣) Albert Camus: The Myth of Sisyphus and other essays, trans by: Justin O'Brien, New York, Alfred A. Knoff, ١٩٥٥, Art in: Philosophy the Big questions, Edit by: Ruth J. Sample, Charles, W., Milles and ames P. Sterba, Blackwell publishing, U.S.A., ٢٠٠٤, pp. ٣١٠-٣١٢.

(٤) عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٦٤.

(٥) عبد الغفار مكاوي: ألبير كامى، ص ص ٥٩، ٦٠.

اللامعنى، وترتفع الدعوة إلى التمرد انطلاقاً من تقززه الوجودي. ولا يزال صدها يدوي في الأرجاء. لكن لا يبرز أي جواب. إن القرن العشرين بمآسيه في الحروب والمجازر أو شفتيز، وهيروشيفا، يكشف عن إنسان منكوب في بدنه وفي كرامته. تثبت الحقيقة التاريخية هذا الجانب الدرامي المعيش جماعياً. يتفاهم فقدان المعنى في العلاقات الإنسانية إلى الصراع. يتجلى ذلك عندما تتعمم على جميع الشعوب<sup>(١)</sup>.

يدل العالم على مسرح الانفعالات المدمرة للبشر عندما يتقاتلون، خصوصاً في النزاعات الدولية، فإن عدد الجرحى والقتلى في المعارك والمجازر تثير الغثيان، وعدم الفهم، والسخط. تهاوى إمبراطوريات مزدهرة وتصعد حضارات متميزة لتنتهار بدورها. والتاريخ هو مجلى عبثية الحروب الدينية والإقليمية .. إلخ. كل هذا لا معنى له. ومع أن البشر يتوقون إلى السلم والعيش معاً في أمان وانسجام، لكن يبدو أن هذا أضحي مستحيلًا. يبدو أن البشر غير قابلين للإصلاح. فالإنسان يتألم ويفلق ويشعر بالعجز في تغيير مجرى الأشياء: فالشعور بالعبث في كل ركن من أركان الشوارع يمكنه أن يلطم وجه كل إنسان. هذا الشعور في عرائه المؤسف وضيائه الباهت عسير الإدراك<sup>(٢)</sup>. ييأس الإنسان من وجوده عندما يفقد دواعي عيشه. وإذا كان سؤال الانتحار يخصه في وعيه بعبثية شرطه الوجودي، فما الحلول التي تقترحها الفلسفة؟<sup>(٣)</sup> وخاصة هنا عند ألبير كامو. يتساءل كامو: هل للحياة معنى؟ وهل تستحق أن نحياها؟ خاصة وأن أحداث الحياة تمر كما يلي: النهوض من النوم، ركوب العربة، أربع ساعات في المكتب أو المصنع، وجبة، ثم الركوب، أربع ساعات عمل، وجبة، نوم، ثم الاثنين، ثم الثلاثاء، ثم الأربعاء، ثم الخميس فالجمعة والسبت، بنفس الإيقاع الممل. وهذا هو الطريق الذي نتبعه عادة معظم الوقت. ولكن عندما يبدأ التساؤل بـ "لماذا" ويصعب كل شيء - في ظل الضجر والسأم والملل - بلون الدهشة، فإن هذا هو المهم. فالضجر يأتي نتيجة أفعال الحياة الآلية، ولكن الحياة، إلى جانب ذلك، تولى دافع الشعور اهتمامها، وتوظف ذلك

(١) لورانس فانون - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ٩٩، ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ١٠٠، ١٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ١٠٣، ١٠٦.

الشعور، وتثير ما يستتبعه، فإما العودة إلى سلسلة القيود والأغلال، أو حدوث يقظة ونهضة حاسمة. وهنا يجد الإنسان نفسه شديد التوق للغد، حيث إن كل شيء فيه ينبغي أن ينبذه، ذلك أن ثورته على الجسد تكون ثورة على العالم الذي لا معنى له<sup>(١)</sup>.

يكنم التفلسف في ترويض فكرة الموت من أجل إثراء فكرة الحياة، وإضفاء المعنى عليها. فخلال فترة الوجود، يتأمل العقل ويتحقق، بينما تتحرك المشاعر بشكل أصيل. لذا، يتمتع الإنسان المتحرر من القلق الوجودي أكثر بالحياة، وبيتهج بما توفره له الحياة. من جانب آخر، من شأن الوعي المتعقل بالموت وليس الانفعالي أن يشجع على الانتباه للحاضر. معرفة أن أيامنا معدودة، تولد إرادة المثابرة والتمتع باللحظة الراهنة. على طريقة سيزيف<sup>(\*)</sup> الذي يدحرج الصخرة، بحيث يجعل الإنسان من الحياة مهمته، ويركز انتباهه عليها. وهنا يتعلق الأمر بالحضور في العالم للانخراط في الإنسانية جمعاء، تلك الإنسانية التي ينتمي إليها<sup>(٢)</sup>.

كل البهجة الصامتة لسيزيف ماثلة. مصيره له وحده. الصخرة هي شيوه. كذلك الإنسان العبثي، عندما يتأمل همه الكبير، يُسكت كل الأوثان. في فضاء دخل فجأة في الصمت، ترتفع آلاف الأصوات الصغيرة والمذهولة من الأرض. دعوات لاشعورية، دعوات لكل الوجوه، إنها المعكوس الضروري وثمر الانتصار. لا شمس بلا ظل، وينبغي معرفة الليل. يقول الإنسان العبثي نعم ولا يتوقف جهده. إذا كان ثمة مصير خاص، فلا وجود لقدر أسمى أو ثمة واحد يعده محتوماً ودينياً. أما الباقي، فهو يعرف بأنه سيد أيامه. في هذه اللحظة اللطيفة التي يلتف فيها الإنسان إلى حياته يتأمل سيزيف العائد إلى

(١) Albert Camus: The Myth of Sisyphus, pp. ٣٠٨, ٣٠٩.

(\*) يعد سيزيف المؤسس الأسطوري لكورنث. يقال إنه سجن الموت (ناناتوس) أو أنه ندد بزيوس، مما أثار غضب الآلهة. حُكم عليه بأن ينقل صخرة إلى قمة الجبل. مهمة غير مجدبة ومتكررة تبناها إلى درجة أنه أصبح سعيداً بها.

انظر: لورانس فائين - فيرنا: لماذا تنقل صخرة؟ سبل الحرية، ص ١٤٢.

(٢) لورانس فائين - فيرنا: لماذا تنقل صخرة؟ سبل الحرية، ص ١٤١، ١٤٢.



صخرته في تتابع الأفعال بلا رابط والتي تغدو مصيره، يخلقه بذاته، ويتوحد تحت انتباه ذاكرته ويُختم عليه بالموت<sup>(١)</sup>.

توضح أسطورة سيزيف أنه لا شيء في الوجود معقول، وأنه ينبغي على الإنسان من ثم أن يكيف موقفه من الحياة تبعاً لذلك مثلما فعل سيزيف<sup>(٢)</sup>. لقد جر عليه استخفافه بالآلهة وكرهيته للموت وعشقه للحياة هذا العقاب الرهيب: عمل متواصل لا ثمرة له. وهذا هو الثمن الذي لا بد من دفعه لقاء لذات الدنيا. ولذا فقد رضى بأن يعيش وهو يحمل الحجر إلى أعلى الجبل، وعندما يكاد يصل يقع منه متدحرجاً إلى أسفل، فينزل ليحمله وهو يعلم أن ذلك سيتكرر معه، ولكنه يرضى، لأنه يعيش أثناء ذلك، وهو يريد أن يعيش، وموقفه ثورة، لأن الآلهة حكمت عليه بالموت، وهو قد رفض الموت وثار على حكم الآلهة. وسيزيف، عند كامبي، هو نفسه الإنسان<sup>(٣)</sup>.

إن كامبي لا يعرف التشاؤم، ودائماً يسعى للتحدي، بل التمرد على عبث الحياة، وأكبر دليل على ذلك هو أنه لا يرى أن الحل الحقيقي لمشكلة العبث يمكن أن يوجد في الانتحار، ذلك أن الإنسان الذي يدمر نفسه إنما يهرب من القضية، وبالتالي يقبل الهزيمة. بينما الاختيار لا بد وأن يكون من أجل الحياة، وليس ضد الحياة. وما يجب أن نتعلمه هو كيف نعيش مع العبث بدون خضوع ولا خداع ولكن بكرامة وشرف، ثم نحاول بعد ذلك أن نعلو فوق الظروف الإنسانية<sup>(٤)</sup>.

إن سبب تعذيب سيزيف هو أنه قهر الموت، إضافة إلى أنه إنسان رفض أن يقبل هذا العالم كما هو. ولكن الأليم في عقاب سيزيف هو الوعي به<sup>(٥)</sup>. فسيزيف أقوى

(١) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) ألبير كامبي: سوء التفاهم، ترجمة وتقديم: سامية أحمد أسعد، الدار القومية للطباعة والنشر، ديسمبر، ١٩٦٦، ص ١٦.

(٣) عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص ١٦٠.

(٤) Scott Nathan A: Mirrors of man in existentialism, pp. ١٣٣, ١٣٤.

(٥) Ibid, pp. ١٣٥, ١٣٦.

من قدره، وإذا كان لنا أن نتحدث عن سعادته، فهي في هذا الوعي العطوف على شقائه<sup>(١)</sup>.

إن الوعي بالألم والمعاناة يخلق فينا التحدي لهذا الواقع الأليم فنعمل على تغييره. كما أن القيمة التي تؤكد عليها أسطورة سيزيف هي الشجاعة من أجل الكرامة الإنسانية مما يجعل الإنسان يواجه عبث الحياة.

إن الحياة هي القيمة الإنسانية العليا، ولذلك فإن الإنسان يثور على الكذب، كما يثور على القهر والعبودية. كما أن الإنسان هو الوحيد الذي يرفض أن يكون على ما هو عليه. أو بمعنى آخر هو الكائن الذي لا يرضى أبداً عن كيانه، فهو دائم السعي إلى تغييره. ففعل الرفض في حد ذاته قيمة أخلاقية، كما هو أيضاً حكم بالوجود. والتمرد بهذا المعنى موجود في كل تجربة إنسانية. فالأمر في التمرد أمر قيمة قد يستدعي الدفاع عنها وتأكيد وجودها، حتى أنه قد يضحي بحياته، وقد تغدو التضحية قيمة جمعية لا قيمة فردية. والتمرد كذلك تضامن يعني وجود الإنسان، كما يعني وجود الآخرين<sup>(٢)</sup>.

إن المبدأ الرئيس الذي يضعه سارتر للوجودية كنزعة إنسانية هو القول بأن الوجود يسبق الماهية، فالإنسان يوجد أولاً ويعرف فيما بعد. فهو يوجد غير محدد بصفته ثم يلقي بنفسه في المستقبل وذلك بالأفعال التي يؤديها. ولذا فإن الإنسان هو أولاً مشروع، وتصميم يحيا حياة ذاتية، ولا شيء يوجد قبل هذا المشروع، بل الإنسان هو الذي يصمم مستقبله ثم يحقق من هذا التصميم ما يستطيع. فمتى كان الوجود سابقاً على الماهية، لم يبق في الإنسان شيء يعين سلوكه ويحد حريته، بل كان حراً كل الحرية يعمل ما يشاء ولا يتقيد بأي شيء، إذ إن الوجودية لا ترى أن بوسع الإنسان أن يجد معونة في علامة على الأرض تهديدية السبيل لأنها ترى أن الإنسان يفسر الأشياء بنفسه كما يشاء، وأنه

(١) عبد الغفار مكاوي: ألبير كامو، ص ص ٤٤ - ٤٦.

(٢) ألبير كامو: الإنسان المتمرد، ترجمة: نهاد رضا، منشورات عويدات، ط٣، بيروت، باريس، ١٩٨٣، ص ص ١٩، ٢١ - ٢٧.

محكوم عليه في كل لحظة أن يخترع "الإنسان" فما الإنسان إلا ما يصنع نفسه وما يريد نفسه وما يتصور نفسه بعد الوجود<sup>(١)</sup>.

لهذا يظن سارتر أنه يحقق الغرض الذي يرمي إليه وهو إنقاذ الحرية، فيصف الوجودية بأنها مذهب تفاؤل لأنها تضع مصير الإنسان بين يديه، فيجعل الحياة الإنسانية ممكنة<sup>(٢)</sup>. ولهذا كان تمجيد الفعل من المبادئ الرئيسية في الوجودية، فالإنسان لا يوجد إلا بقدر ما يحقق نفسه، إنه ليس شيئاً آخر غير مجموع أفعاله، والإنسان المبدع نفسه ليس إلا ما عبر عنه في فعله، سواء أكان ذلك فناً أو علماً. فإبداع شكسبير William Shakespeare (١٥٦٤ - ١٦١٦) هو مجموع مؤلفاته المسرحية والشعرية<sup>(٣)</sup>.

(٢) جان بول سارتر: (الحرية والمسؤولية: إثبات خلاق للحياة):

إن الأطروحة الأساسية للوجودية السارتيرية هي إثبات أسبقية الوجود على الماهية. فالإنسان محكوم عليه بأن يختار ما يفعله بحرية. فهو المسؤول عن المشروع الذي يختاره<sup>(٤)</sup>. فمهمتنا وغايتنا (الوجودية) هي محاولة تحقيق الذات - Self Fullfilment في عينيتها. فالذات عامل متضمن في المغزى الاجتماعي والتاريخي<sup>(٥)</sup>.

يرى سارتر أن الإنسان يتحدد بمشاريعه، فلو كان فناً، يبقى خالقاً (مبدعاً) لمشروعه، ويتقدم لأنه يتغير ويبتكر ويتطور. فهو في تقدم مستمر على ذاته. يشتغل على أدواته. ويضفي شكلاً خاصاً عليها تبيح له إرادته القدرة على تجاوز حدوده الخاصة.

(١) Jean Paul Sartre: Existentialism and Humanism, Trans by: Philip Mariet, Great Britain, ١٩٥٢, p. ١٧.

(٢) جان بول سارتر: الوجودية نزعة إنسانية، ترجمة: كمال الحاج، منشورات مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ١٩٨٣، ص ص ٤٥ - ٤٨.

And: Jean Paul Sartre: Existentialism and Humanism, pp. ٢٨ - ٣٠.

(٣) عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٤) لورانس فانين - فيرنا: لماذا نتقلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١٦٣، ١٦٤.

(٥) Guignon Charles: Existentialism, Art in Routledge Encyclopedia of Philosophy, general editor, Edward Caving, London, New York, ١٩٩٨, p. ٢٠٥. And: Alasdair Macintyre: Existentialism, Art in Encyclopedia of Philosophy, Vol (٣), Paul Edward, Editor in chief, London, New York, ١٩٦٠, p. ١٤٧.

والفرد الذي يضع ذكاه في خدمة أفعاله، يُسهم في العمل الكوني. وهنا يبحث الإنسان الحكيم عن تنمية قوته بالتجربة والمعرفة. كل لحظة تتطوي على إمكانية تساعده على التحسن والاكتمال بكل تواضع<sup>(١)</sup>.

وما دام الإنسان مشروعاً وتصميماً يضعه لنفسه، فإنه بالضرورة مسؤول عما يكون عليه. وكل إنسان يحمل المسؤولية الكاملة عن وجوده. ولا تقتصر هذه المسؤولية عليه وحده بوصفه فرداً، بل تمتد إلى الناس جميعاً، لأن القرار الذي يتخذه لنفسه يمس سائر بني الإنسان. ودائماً ما نختار ما نراه خيراً للجميع، فبتشكيلنا لصورة أنفسنا نحن نشكل في الوقت عينه صورة الإنسان، وهكذا نرى أن مسؤوليتنا أكثر بكثير مما نظن، لأنها تستلزم الإنسانية كلها<sup>(٢)</sup>.

يبدأ سارتر من وجود الوعي ليكشف لنا عن معنى ذلك الوجود. وابتداء سارتر من الوعي، وهو الوجود بالذات، إنما هو تقرير صريح بأولية الوعي، فالوعي لا يمكن كذلك إلا إذا كان وعياً بشيء ما أو هو يتجه نحو شيء ما. فالوعي هو فعل اتجاه أو فعل قصد<sup>(٣)</sup>.

توضح لورانس قانونين أن الإنسان وُجد ليبتكر إنسانيته، ولذا فإن الإنسان العاقل يدرك ألا وقت لبيكي على حظه، وهذا ما يجعله سعيداً، لأنه استطاع كيف يعيش، بل اختار كيف يعيش. وليس وعيه مجرد وعي من أجل الموت، بل هو أيضاً واع يجابه الوجود بكل الفرص المتاحة وبكل الإمكانيات اللانهائية. فالإنسان الحر والمسؤول يثابر من أجل إنسانيته، وتتخرط أفعاله في تاريخ مشترك. فهو ليس وحيداً، ومشروعه مختلط

(١) لورانس قانونين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ١٤٩.

(٢) جان بول سارتر: الوجودية نزعة إنسانية، ص ٤٥ - ٤٨.

And: Jean Paul Sartre: Existentialism and Humanism, pp. ٢٨ - ٣٠.

(٣) جان بول سارتر: الوجود والعدم، بحث في الأنطولوجيا الظاهرية: ترجمة: عبد الرحمن

بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، ١٩٦٦، ص ٩، ٦٩ وما بعدها.

و: حبيب الشاروني: بين برجسون وسارتر، ص ٩٥، ١٠٨ - ١١٣.

Gabriel Marcel: The Philosophy of existence, Books for libraries press, و: Plain view, New York, ١٩٦٩, p. ٤٣.

بالمشاريع الأخرى، حيث يصبح مشروعًا جماعيًا. وكل واحد ينهك في عمله يمكنه أن يسهم في اكتمال الإنسانية جمعاء. وهنا يرتقي الحكيم إلى الطمأنينة العقلية والجسدية والتحكم في الذات، وهذا ما يجعله إنسانًا حرًا ومستقلًا<sup>(١)</sup>.

وهنا تبرز أصالة لورانس فنانين في توضيحها للدور العملي للفلسفة، فممارسة الفلسفة هنا بمثابة علاج فلسفي يجعل الإنسان سعيدًا، ويستطيع أن يختار أن يعيش حياة أفضل بناء على وعيه وحرية.

ومثلما تحدثت كامي عن العبث في أسطورة سيزيف، تحدثت عنه سارتر في روايته "الغثيان" La. Nesusee. فقد تساءل روكتان - بطل الرواية - عن مبررات حياته، وسأل نفسه عن كينونته وعن ماهية الكون الذي يحيط به، فكان هذا كافيًا لأن يصبح نهبًا لشعور من الحصر النفسي والغثيان. فالغثيان هو الشعور الذي نحس به أمام الواقع عندما نصل إلى معرفة أنه يفنقر إلى مبررات وجوده، ومن ثم فإن تجربة الوجود تتجسد في الغثيان، كما أن الوعي الإنساني يرجعنا إلى الحقيقة الأساسية للغثيان ألا وهي العبث<sup>(٢)</sup>.

وهنا يساعد الشعور بالغثيان في اكتشاف الحرية، وبأننا قادرون على أن نمنح وجود الأشياء معنى عن طريق استخدامنا لها كأدوات نفتح بها أبواب مستقبل نخلقه لأنفسنا. إذن ما الهدف الذي كان يسعى إليه روكتان؟ هو إيجاد كينونته، فالكينونة امتلاء لا يستطيع الإنسان أن يتركه. يقول روكتان: "وأنا أيضًا أردت أن أكون" بل لم أرد غير هذا". ومن ثم تجيء مذكرات روكتان تعبر عن اكتشاف سارتر نفسه للوجود. فليس هناك عالم غير العالم الإنساني، عالم الذات الإنسانية، وعلو الإنسان على نفسه بخروجه عن ذاته لتحقيق إمكانات خارج نطاقها. هذا ما يسميه سارتر باسم النزعة الإنسانية الوجودية التي تؤكد الحرية، والحرية مرادفة للفعل<sup>(٣)</sup>.

(١) لورانس فنانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ١٥١.

(٢) سارتر: الغثيان، ترجمة: سهيل إدريس، منشورات دار الآداب، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٣. وكذلك: Gabriel Marcel: The Philosophy of existence, p. ٣٧.

And: Scott Nathan A: Mirrors of man in existentialism, p. ١٧٠.

(٣) سارتر: الغثيان، ص ص ٨٢، ٢٤٥.

وكذلك: عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص ص ٢١٩، ٢٢٠.

وبناء على ما سبق فإن القيمة الأخلاقية تستمد وجودها من الإنسان كمبدع لها - كما يرى سارتر - وينتج عن هذا أن حرיתי هي الأساس الوحيد للقيم وألا شيء مطلقاً يبرر لي أن أتخذ هذه القيمة أو تلك. فبوصفي مبدعاً للقيم فأني غير قابل للتبرير. كما أنني في القلق أدرك نفسي حرّاً حرة مطلقاً، وأدرك في الوقت نفسه أنني أستطيع أن أضع معنى العالم<sup>(١)</sup>. كما نفهم القيم الأخلاقية بوصفها مواجهة للمسؤولية، مما يدعم الشعور بالحرية<sup>(٢)</sup>. فالحرية تكشف عالمًا من التفاعل بين الذات *inter-subjectivity*. وفي هذا العالم يقرر الإنسان ماذا يكون وماذا يكون الآخرون<sup>(٣)</sup>. فالحرية ليست حرية فارغة، وإلا استسلمنا للضجر والقلق والغثيان، ولكنها حرية عمل والتزام وانخراط. هكذا نجد أن "أورست" بطل مسرحية "الذباب" الذي كان حرّاً في ممارسة جميع الالتزامات، ومدركاً في الوقت عينه أنه ينبغي عليه ألا يلتزم أبداً، لم يستطع أن يظل حرّاً دون أن يملأ هذه الحرية بالانخراط في العمل<sup>(٤)</sup>.

غالبًا ما كان الوعي يتحدد بالأخلاق، حيث يصدر الإنسان أحكامًا حول ذاته وحول الأشياء، مما يتيح له تأسيس أخلاق ذاتية يقوم القانون بتنظيمها وتشريعها. ويمكن القول بأن الوعي بدأ بكونه أخلاقاً (الضمير) قبل أن يصير ميثاقياً أو قسدياً، حيث يتوصل الإنسان لأن يكون قاضي ذاته وأفعاله، بوصفه مشاهدًا، يلاحظ تصرفاته وبطلها، بينما وجه المفارقة أنه الفاعل والمنشئ لها. للإنسان هذه القدرة المزدوجة في الوعي الذاتي والموضوعي. تختبر هذه القدرة انطلاقاً من ذلك الصراع الذي يغذي العلاقة

(١) جان بول سارتر: الوجود والعدم، ص ص ١٠٠، ١٠٢.

(٢) Scott Nathan A: Mirrors of man in existentialism, pp. ١٧٧, ١٧٩.

وكذلك: Alasdair Macintyre: Existentialism, p. ١٥٣.

وكذلك: جان بول سارتر: الوجودية نزعة إنسانية، ص ٨٨ وما بعدها.

David Coefer E.: Existentialism, p. ٢٦٥.

(٣) عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ص ص ٢١٧، ٢١٨.

(٤) حبيب الشاروني: الوجود والجدل في فلسفة سارتر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦، ص

ص ٦٧، ٦٨.

بين الخير والشر، والرغبة في حسن الأداء الذي يقترن أيضاً بانتهاكات وانتكاسات ممكنة<sup>(١)</sup>.

يتوصل الإنسان إلى أن يختار وأن يقرر العيش وفق الخير أم لا. يقتضي ذلك أن يحكم على نوعية وقائعه وحركاته. يقيم ما يقوم به لأنه يحمل نظرة نقدية على عملياته. بعد ذلك ستتغير دلالة الوعي جذرياً<sup>(٢)</sup>.

إن الحرية شرط ضروري للحياة، كما أكد ذلك الوجوديون، وعلى رأسهم سارتر. فقد أدرك سارتر أهمية الحرية في مساعدة البشر على عيش حياة أصيلة، بل وحياة أفضل. وفي عمله الفلسفي الضخم "الوجود والعدم" Being and Nothing يعبر بقوة عن امتلاك الإنسان الحرية، وهذا يعني أنهم لا يتحددون بعوامل خارجية أو جوهر موجود مسبقاً، وبالتالي فهم مسؤولون عن خلق معنى وهدف خاصين في الحياة. والحرية عند سارتر مرتبطة بالمسؤولية. وقد اقترح سارتر مفهوم الحرية والمسؤولية كبوصلة أخلاقية لقيادة وجود أصيل<sup>(٣)</sup>.

إن الفضيلة هي مفتاح العيش في وجود أخلاقي، وقبولنا لهذه المسؤولية يعزز السعادة أو حياة إنسانية أفضل. وهنا تغدو الوجودية علاجاً فلسفياً، كما تشير لورانس قانين إلى ذلك.

يرى سارتر أننا مسؤولون عن أفعالنا وعن مشاريعنا، علاوة أن هذه المشاريع عرضة لتقدير الآخرين. أفعالنا معروضة أمام نظر الآخرين. وهذا يثبت المسؤولية الملقاة على عاتقنا. نفعل بحياتنا ما نريد أن نفعله. نحن إذن مسؤولون عن خياراتنا. لا يمكن أن نضع اللوم على الآخرين أو على الظروف. وعليه فإن الإنسان الذي يعي خطورة أفعاله،

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجات الفلسفية"، ص ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٣) Elijah Akinbod: Jean Paul Sartre's existential freedom, International Journal of European Studies, Science Publishing Group, Ekiti State University, Ekiti, Nigeria, Vol (٧), No (١), ٢٠٢٣, p. ١٥.

عليه أن يختار بتريث وتبصر ما يريد فعله لا يمكنه أن ييأس من فوات الوقت لأنه يدرك أن زمانية وجوده تختص به. يفعل بها ما يشاء، لذا فهو يبتكر ويتحدد بخياراته<sup>(١)</sup>.

خلاصة القول إننا إذن مسؤولون عن خياراتنا. لا يمكن أن نضع اللوم على الآخرين أو على الظروف. وعليه فإن الإنسان الذي يعي خطورة أفعاله، عليه أن يختار، بتريث وتبصر ما يريد فعله. لا يمكنه أن ييأس من مفردات الوقت لأنه يدرك أن زمانية وجوده تختص به. يفعل بها ما يشاء، لهذا فهو يبتكر ويتحدد بخياراته. وعلى الإنسان أن يفر بنفسه من شرط وجوده البائس. حيث تجد بهجة الحياة أساسها في التدخل في مسار الأشياء والافتتاح بذلك. فهي تعلم الإنسان إمكانية أن يكتمل في ذاته. يدل الزمن الممنوح لي على وعد الإمكانيات المتاحة للمجازة والتحقيق. فالإنسان ينخرط في العالم، ويمارس فيه حريته ويقوي علاقته بالكائنات والأشياء<sup>(٢)</sup>.

تؤكد لورانس قانين على ربط الوجودية بالعلاج الفلسفي، فالحرية والمسؤولية إثبات خلاق للحياة، وقيمة الحياة تتأكد في البهجة العميقة الناجمة عن الخلق الغني للوجود. فالإنسان ليس كائنًا متأملًا فقط، بل إنه ينخرط في الوجود. لذا تسعى الفلسفة لأن تكون أيضًا عملية. والنتيجة هي أنه لا يمكننا أن نختزلها في ممارسة نقدية ونظرية من إجراء العقل. يتعلق الأمر هنا بالبحث كيف أن ممارسة الفلسفة توجه كذلك أفعالنا وترشد سلوكياتنا، فتصبح، من ثم، فلسفة علاجية تغير من واقع حياتنا اليومية نحو عيش أفضل<sup>(٣)</sup>.

وبناء على ما سبق تبرز البهجة أن الحياة كانت ناجحة، وأنها انتشرت وانتصرت، كل بهجة لها نبرة انتصارية. في كل لحظة تكون فيها البهجة، يكون فيها الخلق. وكلما كان الخلق غنيًا، كانت البهجة عميقة. فالبهجة التي يشعر بها هي بهجة بديعة. إذا كان انتصار الحياة في كل المجالات هو الخلق، ألا نفترض أن الحياة البشرية

(١) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١٤٥، ١٤٦.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ١٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ١٤٩، ١٥٠.



لها علة وجودها في الخلق الذي يتواصل في كل لحظة عند كل البشر، على الخلاف من الفنان والعالم: خلق الذات بالذات، توسيع الشخصية بالجهد الذي يضيف للعالم ثراءً. حينما نتحدث لورانس قانين عن الأبعاد الثلاثة للأخلاق: العقل، العاطفة، الوجود، فإنها تربط ذلك بإثبات وجود الأنا، ومن خلال ذلك تتطرق إلى طرح أسئلة رئيسة على النحو التالي:

- كيف يمكنني أن أعرف؟

- كيف أصل إلى الانسجام الداخلي؟

- كيف أضفي المعنى على حياتي؟<sup>(١)</sup>

وهنا يتوجب تغيير عنوان أسئلتنا، كما ترى لورانس قانين، للانتقال من "ما" أو "هل يمكنني" إلى "كيف". يقودنا هذا إلى التبديل في اتجاه تأملاتنا. تضع هذه المطالبة الأساسية الإنسان أمام تقلباته الوجودية الكبرى وتحثه على التفكير في الخروج من الفوضى لكي يجد الوسائل التي تخفف عنه الأوجاع وهذا يقودنا إلى فلسفة جديدة منعشة هي فلسفة التدفق التي جعلنا نرى النور عندما نتجه نحو تغيير نموذج التفكير ونقترح منوالاً بديلاً. وهذا ما نخاطر بالتفكير فيه بوصفه "تداوياً فلسفياً". وربما تدعو لورانس قانين هنا إلى "فينوفينولوجيا التدفق"<sup>(٢)</sup>. بوصف الإنسان ظاهرة تتجلى، وعلينا السعي لفهم هذا الإنسان في وجوده، أو فيما تسميه لورانس قانين الوجود الأنطولوجي.

### خامساً- قيمة التفلسف .. العلاج الفلسفي

أ- العاطفة محرك الفعل الإنساني:

ترى لورانس قانين أن العاطفة قوة محرّكة للفعل، لذا من السهل توجيهها لصالحنا. واستعمالها في هذه الحالة لدعم الإرادة وتعزيز إنتاجيتها. ومن ثم فالاستعمال السديد للعاطفة من شأنه أن يتيح التحقق للإنسان. ومن ثم فإن الفكر يمكنه أن يعبئ

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجات الفلسفية"، ص ٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٤، ٢٥.

العاطفة، ويرتكز إلى الإرادة، ويسهم عملياً في الإنجاز الفردي. وكما يرى هيجل Georg Wilhelm Friedrich Hegel (١٧٧٠ - ١٨٣١م) فإن الإنسان الذي ينتج شيئاً وجيهاً، فهو يضع فيه كامل طاقته، ومن ثم فإن العاطفة ضرورية له. ويمكن القول إن العاطفة تُحدث تحولات تاريخية مهمة تدعو لمزيد من العقلانية والانضباط، خاصة عندما تكون العاطفة موجهة ومسخرة، فهي تدل على حيلة العقل<sup>(١)</sup>.

وعليه يمكن للوجودية -التي تكمن في العيش المليء والتحقق وفق خيارات ترتبط بالالتزام- أن تشكل غرائز فلسفية. ألا يخلص كامي في "أسطورة سيزيف" بقوله: " ينبغي تخيل سيزيف سعيداً! ليثبت بأنه أضفى المعنى على وجوده بصيرورته حرّاً في أن يدحرج صخرته كما يشاء. وهنا تشهد العاطفة على حضور طاقة روحية، والتي عندما تتعزز بالإرادة وبالرغبة بوصفها قوة جسدية، فإنها تدعم تحقيق مشاريع طموحه<sup>(٢)</sup>.

إن الفلسفة قوة داعمة وفاعلة للفعل الإنساني، وحرية الإرادة، وتعزيز هذه الإرادة التي تدعم تحقيق ذات الإنسان وكونه مشروعاً.

ب- التخلص من الخوف:

تعد الفلسفة علاجاً فلسفياً من حيث كونها مضادة للقلق، كما أنها تدعو للتخلص من الخوف. وتعبير لورانس قانين أنه على الفرد أن يجد علاجاً في ذاته قصد التخلص من الإنسان الخائب. من الكائن الذي أضعفته عذاباته ومخاوفه النابعة منه. ويبدو أن الحياة السعيدة تكمن في استعادة التوازن. ويؤكد لوكرييتس Lucrece (٩٩ - ٥٥ ق.م) بهذا الشأن أنه إذا عرف البشر سبب أوجاعهم وأصلها، والتي تحاصر نفوسهم، مثلما يشعرون بالثقل الهائل فوق عاتقهم، فإن حياتهم لن تصبح تعيسة، لن تراهم يبحثون عن شيء لا يعرفون لماذا يرغبون فيه، ولا يغيرون الأماكن كما لو كان بإمكانهم التخلص من العبء الذي يتقل كاهلهم<sup>(٣)</sup>.

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ١٠٨، ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ١٠٩، ١١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٠.

يجب أن نتعلم أن الفلسفة وببساطة تستطيع مساعدتنا على العيش بشكل أفضل وأكثر حرية. إننا أيضًا نتفلسف لنحمي أنفسنا، ليس فقط لفهم العالم، إذ في الفلسفة ما يساعد على قهر المخاوف التي تشل الحياة. فالموضوع ببساطة هو الإعداد للفكر النقدي والاستقلال، وكذلك الأسلوب المتماسك في التفكير أو لفن التفكير المتجذر في موقف الدهشة والتساؤل، والقدرة على إعداد مواطنين صالحين قادرين على المشاركة بشيء من الاستقلالية في حياة المدينة، كما تمكننا الفلسفة من سبر أغوار أنفسنا. إذ علينا إذا أردنا أن نحيا، أن نعيش أحرارًا قادرين على الفرح والعطاء والحب وأن نتغلب أولاً وقبل كل شيء على الخوف حتى من الموت<sup>(١)</sup>.

فعلى خلاف الكائنات الأخرى، يتميز الإنسان بالوعي<sup>(\*)</sup> الذي يعكس حضوره في العالم. يمنحه ذلك الوعي شيئاً من الكثافة والتبصر تجاه مخاوفه، خصوصاً إزاء الموت. ثم إن هذه النهاية المحتومة لا تطاق في نظر الإنسان، لأنه يتساءل عن معنى الحياة ومغزاها إذا كانت تنتهي بالموت. من ثم على منوال هذا الوعي المتمرد، يتوخى الإنسان تفسيراً ميتافيزيقياً للموت<sup>(٢)</sup>.

وقد أرجع إبيكتيتوس Epictetus (٥٥م - ١٣٠م) كل التساؤلات الفلسفية إلى المصدر الوحيد نفسه: الخوف من الموت. وينادي إبيكتيتوس: درّب نفسك لمقاومته، ولتتزع كل كلماتك وكل دراسائك وكل قراءاتك إلى ذلك وستدرك بأن هذا هو السبيل الوحيد لأبناء البشر لكي يصبحوا أحرارًا. فالتفلسف إذن هو تعلم الموت. مع التأكيد على

(١) لوك فاليري: تعلم الحياة (سأروي لك تاريخ الفلسفة)، ترجمة: سعد الوالي، مراجعة: زهيدة درويش، بدون تاريخ، بدون دار نشر، ص ص ١٦، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٣.

(\*) وهنا نقصد بالوعي مجمل العمليات العقلية التي تشترك إيجاباً في فهم الإنسان للعالم الموضوعي ولمفهومه الشخصي. ويرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة، مما يجعل في الإمكان فهم دلالات ومهام ومفاهيم الأشياء والظواهر، فالمعرفة والإحساس محفوظة في لغة تشكل المعرفة المتراكمة للتاريخ والسياسة والقانون والفن والأخلاق وعلم النفس .. إلخ.

انظر: م. روزنتال، ب. يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، ط٧، بيروت، ١٩٩٧، ص ص ٥٨٦، ٥٨٧.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ١١١.

كونية الأخلاق، وتجاوز المنافع الخاصة. وأن تحسب حساب مصالح الآخرين، حتى الإنسانية جمعاء. هنا يبدو الارتباط بفكرة الحرية واضحاً. إذن الحرية، وفضيلة العمل الذي يبتغي الإرادة الخيرة، ومراعاة مصلحة العامة هي التي تحدد أخلاقيات الواجب. فالأمر عند كانط Immanuel Kant (١٧٢٤-١٨٠٤) يتعلق بالإرادة الطيبة في عالم الإرادة. هذا في عالم يُعامل فيه البشر بصفاتهم غايات وليست وسائل، كائنات ذات كرامة مطلقة<sup>(١)</sup>.

إن القلق المؤكد سعي جامع نحو الرغبات، والميل نحو المخاطرة، وإلا شعر الإنسان بالوهن والضعف واليأس وانحطاط الإرادة والضجر والحزن ... إلخ. فهو يحيا في العبث. ولكن، يتيح له التفلسف مقارنة الوجود بشكل أفضل والتعافي من الخوف، وإدراك مجانية الحياة، والوعي بها من أجل إثرائها، والرغبة في منحها معنى خاصاً يشكل في ذاته علاجاً. أما باقي الأشياء فهو يعني بأنه سيد أيامه. في هذه اللحظة اللطيفة التي ينقلب فيها الإنسان على حياته، يكون مثل سيزيف الذي يتأمل حياته في سلسلة الأفعال بلا رابط وهو يعود إلى صخرته، والتي تصبح مصيره الذي صنعه بيديه<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا يتطلب القضاء على أوجاع الكرب الوجودي البحث عن دواعي العيش، وإسعاف الوعي المنكوب. على الإنسان أن يتخلص من القلق ومن الخوف، هذا الشعور الذي يتلخص في عدم الارتياح يمكن للفلسفة أن تيسر له المعيش، وتشجعه على التهدئة بمساعدته على استعادة الثقة في نفسه، وتولي زمام مصيره. بالتخلص من الشعور بالطابع الاحتمالي للوجود، هنا يجد الإنسان دواعي العيش الرغد، والعيش على نحو أفضل<sup>(٣)</sup>.

وعندما يستعيد الإنسان حماسه للحياة، يخف غثائه شيئاً فشيئاً، فيدرك أن مصيره يتركب من متع صغيرة، وتجارب متنوعة ولقاءات مثمرة. هكذا يستعيد متعة الحياة. وهنا أيضاً يتجدد الإنسان بصلته بالفلسفة - خصوصاً الفلسفة الوجودية. ويقرر

(١) لوك فاليري: تعلم الحياة، ص ص ٢٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٤.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجات الفلسفية"، ص ص ١١٢، ١١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ١١٣، ١١٤.

ترك بصمة في العالم بما ينجزه من مشاريع. يُشفى من حيرته وتفززه، ومن الشعور ببطلان وجوده وبضجره، ويدرك بأنه سيد مشاريعه عندما يتحمل مسؤوليته ويشعر بالحرية في أفعاله. إذ إنه مهما كان الإنسان منتبهاً، عليه أن يحيا بالأمل، وعليه أن يعوض كل الآمال الأخرى التي تم استبعادها أو استنفادها<sup>(١)</sup>.

إننا حينما نحرر أنفسنا من الخوف، نكتشف ما بداخلنا من الحرية. من هنا نرى أن حكماء أثينا قد استطاعوا في أزمان الشدة والبلاء أن يقدموا للعالم نظرة جديدة عن الحرية. وهذه النظرة هي التي يقدمها حكماء روما، والرواقيون منهم على الخصوص، وفكرة الحرية هي الفكرة الكبرى التي تسود فلسفة إبيكتيتوس، فالحرية عنده هي أن يتصرف الإنسان في أفكاره وإرادته، بحيث لا يمكن قهره على غير ما يريد. وإذن فهي حرية النفس التي تعرف كيف تحكم نفسها وفق قانون تسنه لنفسها. وإذا أراد الإنسان أن يعرف تلك الحرية وجب عليه، وفقاً للمبدأ السقراطي أن يعرف نفسه - عندئذ يتبين أولاً بأنه مستعد لأشياء كثيرة، فهو عبد لبدنه، وللمال، والجاه والسلطان<sup>(٢)</sup>.

فإذا التمس المرء الحرية الصحيحة فليبحث عنها لا في الأشياء الخارجية، ولا في جسده، ولا في ماله، ولا في جاهه، لأن في ذلك كله رقاً أخلاقياً، وبلاءً عظيمًا، بل إنه واجدها في نفسه وفي أمر مطلق مستقل. فالإنسان وحده لديه القدرة على الحكم والإرادة. ولا شيء من الخارج يستطيع أن ينال حرية النفس بسوء<sup>(٣)</sup>. وهنا تغدو الوجودية علاجاً فلسفياً.

إن ما يهمني هو الصورة التي أخفيها على الفعل، وهي أن: كل شيء حسن ما دام يتم وفقاً لقانون الكون الذي هو حسن. وما عليّ إلا أن أتابع قانون الكون، عندئذ يبدو لي كل ما يصيبيني حسناً. هذا ما اتفقت عليه الأبيقورية والرواقية. وإذن فهاتان الفلسفتان الأخلاقيتان اللتان ظهرتتا في أوقات الشدة والبلاء قد جاءتا ملائمتين لبؤس الإنسان الحديث الذي بدأ هو أيضاً في الظهور حينذاك، ذلك الإنسان الحائر الضائع في جمهرة

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ١١٤.

(٢) عثمان أمين: محاولات فلسفية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٣، ص ص ١١٨، ١١٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٩.

الناس، ذلك الإنسان الذي يحمل وحده عبء الحياة، ويسير بلا قارب ولا سبب من أسباب الوجود. إلى هذا الإنسان القلق المضطرب قدم "أبيقور" و"زينون" وأنصارهما من بعدهما هداية إلى طريق جديد لمباهج حياة سعيدة لم تستنفد بعد فضائلها حتى في أيامنا هذه: أرشدها إلى سكينة النفس التي لا تساورها رغبة أو رهبة، وعلمها كيف يسلك سبيل "الحكمة" الإنسانية ليصل إلى الحرية الداخلية وهي الحرية الحقيقية<sup>(١)</sup>.

تعد الرواقية أكثر المذاهب الفلسفية اليونانية التي قامت كي تسد حاجة عملية. تبين من هذا كيف استطاع إبيكتيتوس منذ البداية أن يحقق في حياته الفلسفة التي يذكرها له تلميذه "أريانوس" في "المختصر" وهي أن يدرك المرء الخير أولاً بنوع من الحدس الفطري، ثم يسعى إلى فعل ذلك الخير وتحقيقه. والفلسفة التي تعلمها إبيكتيتوس وسط العبودية والبؤس هي تحرير النفس تحريراً أخلاقياً. أثر عنه أنه قال: "لا تقل إنني مشغول بالفلسفة، فهذا ادعاء وكبير، بل قل إنني مشغول بتحرير نفسي"<sup>(٢)</sup>.

خلاصة القول إن الحرية هي الفكرة الكبرى التي تسود فلسفة إبيكتيتوس، حيث يراها إبيكتيتوس من أجل الخيرات والنعم التي نصيبها في هذه الدنيا. والحرية عنده هي أن يتصرف الإنسان في أفكاره وإرادته بحيث لا يمكن قهره على غير ما يريد. وإذن فهي حرية النفس التي تعرف كيف تحكم نفسها وفق قانون تسنه لنفسها. وإذا أراد الإنسان أن يعرف تلك الحرية وجب عليه، وفقاً للمبدأ السقراطي، أن يعرف نفسه. عند ذلك يتبين أنه أولاً مستعبد لأشياء كثيرة: فهو عبد لجسمه، عبد للمال، عبد للجاه والسلطان، فإذا التمس الإنسان الحرية الصحيحة فليبحث عنها لا في الأشياء الخارجية، ولا في جسمه، ولا في ماله، ولا في جاهه، لأن في ذلك كله رقاً أخلاقياً وبلاءً عظيماً، بل إنه واجدها في نفسه، وفي شيء مستقل تمام الاستقلال، ألا وهو قدرته على الحكم، والإرادة<sup>(٣)</sup>.

(١) عثمان أمين: محاولات فلسفية، ص ص ١٢٣، ١٢٤.

And: Bellarmine U.Nneji: Philosophical Counselling. Praxis and Pedagogy, p. ٤.

(٢) عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥، ص ص ب، ١٩٦.

(٣) عثمان أمين: الفلسفة الرواقية، ص ١٩٩.

يصف سينيكا<sup>(\*)</sup> نفسه بالرواقي، وقد ركز سينيكا في تطبيق المبادئ الأخلاقية على حياته وحياة الآخرين بالمثل، والتساؤل الذي هيمن على كتاباته الفلسفية هو: كيف يعيش المرء حياة خيرة؟ وكان سينيكا يرى أن السعي للفضيلة والسعادة مسعى بطولي يصنعه الإنسان الناجح فوق بطش الانتهازية، ولتحقيق هذه الغاية حوّل سينيكا الحكيم إلى شخصية ملهمة، بإمكانه أن يحفز الآخرين ليتبعوا مثاله بلطف الإنسانية وبهجة الهدوء. ومفتاح فلسفته هو كيف يحرر ذاته من انفعالات الغضب والحزن، وكيف يواجه الموت، وكيف يفيد الآخرين<sup>(١)</sup>.

عرض سينيكا في نقاشاته عن الكون تعاليمه الأخلاقية ليوضح رؤيته عن العدالة والتجديد، ورسم صورة للتحديات التي يواجهها الإنسان، وإلى السعادة التي ينتظرها من يمارسون الفلسفة الحقة. فقد دعا سينيكا لاستئصال الانفعالات وتقضيل عقلانية المرء الحاكم. فيمكن القول إن أفضل عيش وأعظم خير هو أن تعيش وفقاً للطبيعة، والطبيعة خلقت لغايتين وهما التأمل والفعل. فليس جديراً بالثناء أن تسعى وراء الثروة دون أي حب للفضائل، ودون غرس للعقل. فالفضيلة تختبر تقدمها عن طريق العمل وليس النظر فيما ينبغي عمله ومن ثم فإن الرواقية تعلمنا كيف نعيش الحياة<sup>(٢)</sup>.

(\*) ولد سينيكا Seneca (٤ ق.م - ٦٥ م) لعائلة عريقة في الفروسية بمدينة قرطبة Corduba في أسبانيا بين عامي ١-٤ ق.م. وهو الابن الثاني من ثلاثة أبناء لهيلفيا ولوكيوس أنايوس سينيكا. والأخ الأصغر هو أنايويوس ميلا وهو والد الشاعر لوكان. وقد قضى الأب فترة كبيرة من حياته في روما وظهر حينها سينيكا صبياً صغيراً، وهناك تلقى تعليمه في البلاغة، وأصبح تلميذاً للفيلسوف سكيثوس.

انظر: لوكيوس أنايوس سينيكا: محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: حمادة أحمد علي، مكتبة الرافدين للكتب الإلكترونية، آفاق للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠١٩، ص ١٢.

(١) المصدر نفسه، ص ٢١ - ٢٣.

And: Banicki konrad: philosophy as therapy Towards a conceptual model, Philosophical Papers, vol ٤٣, Routledge, south Africa, ٢٠١٤, p.١٦.

(٢) لوكيوس أنايوس سينيكا: محاورات السعادة والشقاء، ص ص ٢٩٥ - ٢٩٨.

إذن الحياة السعيدة عند سينيكا هي تلك التي تركز على السلوك الأخلاقي وفضائل الحرية والاعتدال واللطف، والسكينة، وهذا هو الخيط في وصف سينيكا لكيفية أن تكون سعيداً. فأنا حينما أهاجم رذائلي، فإنني أعيش كما ينبغي لقدرتي للعيش<sup>(١)</sup>.

من هنا يرى سينيكا أن الفلسفة الحقة هي ممارسة الفضيلة، وبالعكس، حيث تعبر الفضيلة عن ممارسة الفلسفة، والهدف من ذلك هو العيش على نحو أخلاقي أفضل، بغية الحصول على حياة خيرة. باختصار إن الرواقية تعلمنا كيف نعيش الحياة أو كيف نموت دون خوف من الموت.

ج- التوازن، الصحة، ومعنى الوجود:

أظهرت المدارس اختلافاً صارخاً حول ما يشكل الخير الأقصى أو الهدف والغاية أو كمال الحياة، حيث يحتاج كل امرئ ليكون سعيداً إلى اللذة والتحرر من الألم والقلق كما هو عند الأبيقوريين، والفضيلة وحدها عند الرواقيين<sup>(٢)</sup>.

تدعو الحكمة إلى تفضيل الامتلاء والبحث عن التوازن العميق، فهي تدعو إلى إشباع المتع المشروعة بالتخلي عن أولئك الذين ينغمسون في الغلو، والاضطراب والمعاناة. يساعد هذا السلوك على التحرر من الإكراهات الحسية بالاعتدال. وبالموقف الرزين أو بتجربة الزهد أحياناً، مما يدل على الاستعداد في التغلب على المغريات الخارجية، والتمييز بين الرغبات الجيدة والأخرى الفاسدة. بدلاً من الاستسلام إلى اضطراب النزوع المفرط. يفضل الحكيم التفكير العميق وينمي مقاوماته الخاصة. يتأمل العقل في سياق الوجود ويتحقق، بينما يتدفق الإحساس بشكل أصيل<sup>(٣)</sup>.

تساعد الفلسفة على مجافاة الرغبات، ومن ثم، تساعد على تحكم أفضل في الذات، وهنا توضح لنا لورانس قانين أن الفلسفة الأبيقورية تقترح تحليلاً وفهماً خاصاً للرغبات من أجل تنظيم سليم للسلوك العاطفي، فهي تميز تراتبها بالمقارنة مع ما هو ضروري للإنسان وما هو مضر ينبغي الانصراف عنه. حيث ينبغي إدراك أن من بين

(١) المصدر نفسه، ص ص ٣٠٧، ٣٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.

(٣) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ١١٥.



رغباتنا، البعض طبيعي، والبعض الآخر باطل، ومن بين الرغبات الطبيعية، بعضها ضروري والبعض الآخر طبيعي فحسب. ومن بين الرغبات الضرورية، هناك ما جعل للسعادة، وهناك ما جعل للطمأنينة المتواصلة للجسد، والبعض الآخر للحياة ذاتها<sup>(١)</sup>.

يؤكد إبيقور على أنه تكمن السعادة في طمأنينة النفس، فهو ينصح بالسعادة الزهيدة التي تناسب التحكم في الرغبات. كما تؤكد أنه ما يبقى للنفس هو الخيرات الحقيقية والصدقة. فهناك رغبات طبيعية وضرورية مثل الأكل والمشرب والنوم والإنجاب فهي حاجات حيوية، تحفظ للجسم صحته وللنفس أمانها. الرغبات الطبيعية غير الضرورية هي ما ينبغي الاعتدال فيه، ويكمن في الاقتناء الاستثنائي لبعض الترف والمتع الإضافية القليلة. فهي لذات يتوجب الاعتدال فيها، لأنها قد تؤدي إلى التبعية والإسراف، وقد تسبب بعد ذلك الآلام، إذا رفضت أو افتقدت، رؤية حسيّة حول هذه الرغبات من شأنها أن تجلب الإيثار أو الاشمئزاز لصحة الجسم، وطمأنينة النفس، لأن في ذلك كمال الحياة السعيدة. تهدف أفعالنا لاستبعاد الألم والخوف. عندما نتوصل إلى ذلك، تهدأ عاصفة النفس، ويتوقف الكائن الحي من النزوع نحو ما ينقصه، ويتوقف عن البحث عن شيء يكمل به راحة النفس والجسم. نشعر وقتها بالحاجة إلى المتعة وبغيابها يأتي الوجد، وعندما لا نتألم لا نشعر بأية حاجة للمتعة<sup>(٢)</sup>.

يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن العديد من مبادئ الفلسفة الرواقية هي جزء من نسيج وجودنا اليومي. تعلمنا الرواقية أيضاً أننا كائنات اجتماعية تحتاج إلى إيجاد طريقة للعيش معاً في وئام. ونشجعنا الرواقية أيضاً على العيش في وئام مع الطبيعة، والتصدي لمسؤولية الحفاظ على الطبيعة والبيئة<sup>(٣)</sup>.

يرافق استرداد الصحة في فن العيش باعتباره نظاماً فلسفياً خاصاً يولد التوازن في الجسد والطمأنينة في النفس. يشغل الترياق الفلسفي بأن يجلب السعادة للإنسان في

(١) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١١٩ - ١٢١.

(٣) دالي كينجسلي: وعد إيكيتيوس "دليل أولي لتاريخ وفلسفة الرواقيين"، ترجمة: كرار صباح القره جولي، بدون دار نشر، وبدون تاريخ، ص ص ١٣، ١٧.

الحاضر المعيش بطمأنينته، والذي تغذيه دينامية مرحلة تشفيه من همومه. ربما عندما تتوفر للإنسان فلسفة جديدة في انبساط الكون، فإنه يجد العزاء في التقاط فضاءات المعنى، وواقع في صدد التشكل والإنجاز. يحثه الأمر على إعادة التفكير في ذاته بعمق ليفهم بأن الحدود بين الإحساس والعقلانية ليست حاسمة كما حاول بعض الفلاسفة العقلانيين البرهنة عليها. وأنه بتكامل النفس والجسم تعبر الكائنات البشرية عن وجودها في العالم، وتكشف عن حريتها، وكذلك عن تأثرها وتدققها دون أن يكون ذلك علامة على هشاشة قابلة للاعتراض<sup>(١)</sup>.

تشجع الحكمة الفلسفية على العودة إلى المقاومة، وإلى الحياة السعيدة. يوحي هذا السلوك بتحقيق حياة مشروعة ومتعة مشروعة، و بترك المتع التي تؤدي إلى المعاناة. وهنا تكمن الصحة الجيدة في تحقيق التوازن الحي بين النفس والجسم. وعلى الإنسان أن يفضل الطمأنينة أو غياب الاضطراب، بفهم أن ممارسة الفلسفة تتيح له فرص التخلص من الاضطرابات التي تسببها العواطف المفرطة<sup>(٢)</sup>.

لا يمنعه هذا السلوك المدروس بعمق من تهذيب عاطفته، بل إنه يعزز طاقته الحية. لذا نقول بأن المتعة هي مبدأ الحياة السعيدة ومنتهاها. هي التي تعرفنا فيها على الخير الرئيس والموافق لطبيعتنا منها نطلق لتحديد ما ينبغي اختياره وما ينبغي تفاديه. وإليها نلجأ عندما نستعمل الإحساس كقاعدة للاستمتاع بكل خير يتوفر لنا بما أن المتعة هي الخير الرئيس والفطري، فإننا لا نسعى نحو أي لذة، بل ثمة حالة تتخطى فيها العديد من المتع، إذا كانت الآلام التي تلم بنا خلال فترة طويلة ينتج عنها متعة أرقى. كل متعة هي بطبيعتها خير<sup>(٣)</sup>.

وحيثما نتساءل: لماذا ندرس الرواقية؟

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ١٢٣، ١٢٤.

And: Bellarmine U. Nagi; philosophical counselling, praxis and pedagogy, vol (٩), ٢٠١٣, p.٤.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

فتكون الإجابة إن أفضل دافع لدراسة الرواقية هو حقيقة أن الفكر الرواقي منتشر في مجتمعنا الحديث، وغالبًا ما نطبق العديد من مبادئ الفلسفة الرواقية في حياتنا اليومية دون أن نكون لها عارفين. تعرف الرواقية أيضًا باسم مدرسة الفكر الهلنستي، حيث تؤكد على أهمية الطبيعة، و على أنها حجر الأساس في الفلسفة. فقد كان الرواقيون اليونانيون ينظرون إلى فلسفتهم على أنها أسلوب حياة، وليست مجرد مران عقلي يتغنى به الأكاديميون يحيون في باحاتهم الدراسية من قبيل أكاديمية أفلاطون أو الجامعات الأخرى. ومن هنا يمكن تعريف الفكر الرواقي ببساطة على أنه نيل السعادة بعيش الحياة بعقلانية ومنطقية بالتماس مع الطبيعة<sup>(١)</sup>.

إن اتخاذ القرار العقلاني هو الأفضل إزاء العاطفة بكل بساطة. وتعلمنا الرواقية أننا لا يمكننا التنظير لعواطفنا بشكل سليم إلا في ضوء منهج منطقي وعقلاني في اتخاذ القرارات. لقد أشاعت الأخلاق الرواقية مفهوم التحرر من العاطفة باتباع العقل. من هذا نستمد ببساطة أن العقل هو منطق الطبيعة، وأنا يجب أن نعيش وفقًا لهذا المنطق<sup>(٢)</sup>.

وعلى ذلك توضح لورانس فانين أن الفضيلة بالمعنى الرواقي هي دائمًا مفهوم واجب التطبيق في مواقف الحياة اليومية، وليست مجرد حالة ذهنية. هذا يفرض نهجًا مسؤولاً لقضايا من قبيل الحفاظ على الفرد، وعلى البيئة أيضًا، حيث تدعو الأخلاق الرواقية لما يلي:

- لا تشرح نفسك بل تجسدها.
- إذا أخبرك أحد أن شخصًا ما يسيئ إليك، فلا تتذرع بما يقال عنك، بل أجب، لقد كان جاهلاً بعيوبي الأخرى، وإلا لما ذكر هذه فقط.
- هناك طريقة واحدة فقط للسعادة، وهي التوقف عن القلق بشأن الأشياء التي تتجاوز قدرتنا أو إرادتنا.

(١) دالي كينجسلي: وعد إيكيتيوس، ص ص ٣، ٤، ١١.

(٢) المرجع نفسه، ص ص ١٥، ٣٠.

- قل لنفسك أولاً: ماذا ستكون، ثم افعل ما عليك القيام به<sup>(١)</sup>.

كما يشير "إبيقور" بأن ما يقلق الإنسان هو الأحكام التي يحملها حول الأشياء، وليست الأشياء في حد ذاتها. مثلاً، ليس الموت شيئاً فظيماً، فهو لم يتجلّ كذلك لسقراط، لكن الحكم الذي نحمله حول الموت يجعله فظيماً، تلكم هي الفضاة عينها. إذا كنا في حالة نقص، وقلق، وحزن، فلا ينبغي أن نتهم على الغير، بل علينا أن نلوم أنفسنا، أي أن نتهم أحكامنا الخاصة. اتهام الآخرين بالمصائب التي تلم بنا هو عين الجهل، ومؤاخذة الذات هي علامة على العلم، وعدم الهجوم على الغير علامة الإنسان المتعلم<sup>(٢)</sup>.

من المؤكد أن كريتئوس كان من أشد المعجبين بإبيقور (أو إبيقوروس) الذي يعني اسمه باللغة اليونانية "المساعد" أو "المعين". كان إبيقور يرى أن الهدف من الفلسفة هو تحقيق السعادة والحياة الهادئة التي تتميز بما يسمى بـ Ataraxia أي السلام والطمأنينة والتحرر من الخوف، وأيضاً ما يسمى بـ Aponia - أي التخلص من الألم، وذلك عن طريق حياة تتميز بالاكتماء الذاتي وسط مجموعة من الأصدقاء. إن اللذة والألم -في رأي إبيقور- هما مقياس الخير والشر. و"الحديقة" كما سبق القول، هو ذلك الاسم الذي عرفته به مدرسته، لأنه أنشأها في حديقة منزله<sup>(٣)</sup>.

كان لوكريتئوس يستلهم أعماله ومعلوماته ومناقشاته وحتى نقده للآخرين من أعمال إبيقور. وربما يكون من الواضح أن المحتوى الفلسفي الرئيس لقصيدة "في طبيعة الأشياء" يصور ما رآه لوكريتئوس في مقال عن الطبيعة لإبيقور. ولا يختلف لوكريتئوس عن إبيقور إلا في ترتيب خطوات المناقشة، وليس في ماهية المذهب الإبيقوري أو فحوى المناقشة ذاتها. ويتضح ذلك التقارب الروحي والفكري الشديد بين لوكريتئوس وإبيقور من

(١) المرجع نفسه، ص ص ١٨، ٤٤.

And: Donald Robertson : Stoic Altitudes scale, posted; on jaullary ٢١, ٢٠١٣, pp. ٢٠, ٢١.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ١١٥، ١١٦.

(٣) لوكريتئوس: في طبيعة الأشياء، ترجمة: علي عبد التواب علي، صلاح رمضان السيد، سيد أحمد صادق، مراجعة وتقديم: عبد المعطي أحمد شعراوي، المركز القومي للترجمة، ط ١، القاهرة، ٢٠١٨، ص ص ٦٠، ٦١.

And: Bellarmine U.Nneji: Philosophical Counselling. Praxis and Pedagogy, p. ٤.

عبارات الاحترام والتقدير، بل والتقدير أيضاً- التي يطلقها لوكريتيوس في الكتاب الثالث (٣ - ١٧) موجهاً حديثه إلى إبيقور: "إنني على أترك، يا مجد الجنس الإغريقي، وعلى آثار أقدامك أخطو الآن خطواتي الثابتة، ليست رغبة في منافستك، بل بدافع الحب أتوق إلى محاكاتك"<sup>(١)</sup>.

ويعبر لوكريتيوس أنه بمجرد أن شرع إبيقور مذهبه الفلسفي في توضيح طبيعة الأشياء، تلك الفلسفة بها تتبدد مخاوف العقل، وتتلاشى أسوار العالم، ليرى كل منا أرجاء الفضاء الفسيح. لكن تبرير لوكريتيوس لاستخدام الشعر في مجال الفلسفة، هو أن الشعر يشبه دواء الروح، وأن ما يبعثه الشعر في الروح من بهجة يشبه ما يبعثه الدواء في الجسم<sup>(٢)</sup>.

يتميز المجتمع الاستهلاكي المعاصر برفض الإبيقورية، كما توضح لنا لورانس قانونين. إذن ما الذي يبرز في ذلك المجتمع الاستهلاكي؟ تتولد الرغبات وحب المال والجاه والبحث عن المؤثرات القوية والمتجددة على الدوام سباقاً محمومًا نحو الاستهلاك، وشلالاً من الأمنيات الحادة التي تنتظر التحقيق. في النهاية، يبحث الشاب عن رغبات جديدة ومتعة سهلة، وهذا يولد لديه عدم القناعة. من جانب آخر، الشاب الذي يحركه إشباع رغبات جديدة، يمكنه بفقدان التأمل والتريث أن ينفعل بالحماس المفرط ويخطئ أهدافه. ذلك أنه يبحث عن المجد والشهرة والغنى والنجاح السهل، ولا يسهم هذا كله في تحصيل السعادة. وهنا تؤكد لورانس قانونين على أن دور الفلسفة هنا هو أنه يتيح للشباب سبق المستقبل برؤية وتبصر، والقيام بخيارات معقولة<sup>(٣)</sup>.

تتيح الفلسفة إيضاح السبل المؤدي إلى السعادة، وتقادي الطريق الذي يؤدي إلى الغبن. كما توضح لورانس قانونين قيمة الفلسفة العملية، فهي ترى أنها تتميز بنوع من التعقل، وتقدير ما هو خير أو خطير للإنسان، كما تسعى الفلسفة إلى زرع الاعتدال في السلوك وتجسيد الحكمة. وهنا يكمن التفلسف في العيش في نوع من الزهد، فأن تكون

(١) لوكريتيوس: في طبيعة الأشياء، ص ص ٧٥، ٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٧٧، ٧٨.

(٣) لورانس قانونين - فيرنا: لماذا تنقلسف؟ سبل الحرية، ص ١٢١.

إبيقوريًا معناه أنك تعيش بتلطيف شهواتك وتجدد حاجاتك. حيث يتوصل الحكيم إلى حالة من التجرد إزاء كل الغوايات ويبتهج برفع الألم عنه. فالسعادة هي قناعة الكائن الذي لا يعاني من أي اضطراب. وعليه، إذا اعتدل الشاب في عواطفه ورغباته، فهو يتوصل إلى التصرف بحكمة، نحو الفعل المتعقل، فتصبح أفعاله محسوبة، وهذا يلطف تصرفه ويتيح له التغلب على العوائق<sup>(١)</sup>.

مما سبق يمكن القول إن الأخلاق الإبيقورية تتصح بالسلوك الزاهد الذي يدعو للتخلي عن الرغبات الباطلة، فإذا كان الشاب يتميز أحيانًا بالسلوك المتهور، فإن الحكمة الفلسفية تدعوه إلى الاعتدال في حماسة وعنفوان، كما تتيح ممارسة الفلسفة تعويض النقص في التجربة المرتبطة بمرحلة الشباب، فهي تحضر الشاب، حسب إبيقور، لأن يكون جريئًا أمام المستقبل ومن هنا تؤكد لورانس قانين على أن التفكير بالحكمة معناه نقادي الحيرة ومجابهة مخاطر الوجود<sup>(٢)</sup>. ومن ثم يتحقق المعنى المنشود من الحياة.

د- الصداقة، الصبر، الاعتدال، وبلوغ الطمأنينة:

أولى سينيكا اهتمامًا خاصًا بالصداقة، ومن أجمل صفات الصداقة الحقّة، كما ترى الرواقية، هي أن نفهم ونُفهم<sup>(٣)</sup>.

ترى لورانس قانين أن الصداقة تحيل إلى وضعية خاصة يظهر فيها "شيء" نتقاسمه، نوع من "الغيرية" فما نتقاسمه هو الحياة نفسها لكن بعمق مغاير، وبجوار قوي. فالصداقة، كما تراها لورانس قانين، هي صلب الكينونة، حيث يدل الصديق، بشكل ما، على الكينونة، فتقديم شخص ما على أنه صديق معناه وضع تقارب له بمنطق الغيرية، فليس الصديق أنا أخرى، بل هو غيرية محاثية في الإثنية، صيرورة أخرى. في المرحلة التي أدرك فيها وجودي، يخترق إحساس الشعور المشترك (Con-sentir) الذي يبده،

(١) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتقلسف؟ سبل الحرية، ص ص ١٢٢ - ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٣) انظر: لوكيوس أنابوس سينيكا: محاورات السعادة والشقاء، ص ٢. و: دالي كينجسلي: وعد إيكنتيتوس، ص ٣٥.

ويرحلة نحو الصديق، نحو المماثل الآخر. وربما تكون الصداقة هي نزع الذاتية في قلب الإحساس الحميمي للذات<sup>(١)</sup>.

تتيح الصداقة الإدماج في الطابع المعقد للكينونة، يبدو للورانس قانين أن هذا التقارب قادر على فتح فضاء يمكنه بسط الفرد بالمقارنة مع انتماءاته التقليدية. إذ ليست الذات افتتاح أفق أو توجيه أساس للتمثل، لكنها تدل على الحيز الذي تتقاطع فيه الزوايا، وتتفاعل فيه الذات مع الآخر<sup>(٢)</sup>.

أما مدرسة "إبيقور" فهي البيئة الجديدة التي يحس الإنسان أنها داره التي يأوى إليها، هي أسرة الأصدقاء. وليست الصداقة الإبيقورية هي الشارة الخارجية التي تربط التلاميذ بالأستاذ فحسب، بل هي الأساس الذي تقوم عليه الحكمة. وتتخلص الدعوة الإبيقورية في وجوب سعي الإنسان إلى الخلو من الاضطراب النفسي، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يبلغ هذه الغاية إلا بمناصرة جماعة "الأصدقاء" ومشاركتهم إياه في السراء والضراء، وبالمثل الأعلى للحرية كما دعا إليه "إبيقور" وهو أن يخلو قلب الإنسان من كل رغبة أو رهبة، وأن تبرا نفسه من الخرافات والأوهام<sup>(٣)</sup>.

أما فلاسفة "الرواقية" فقد أرادوا إحلال "الإنسان" محل المواطن، وجعلوا "الحكيم" مواطناً للكون كله، ومالوا إلى اعتبار الإنسان أسرة واحدة أعضاؤها البشر عامة، أيًا كانت نحلهم وأسننتهم وبلادهم. فالناس جميعاً طبيعتهم واحدة وأصلهم واحد، وهم من جهة عقولهم يشتركون في نظام واحد، وينتسبون إلى إله واحد، ويؤلفون دولة واحدة، حدودها الكون كله، ورئيسها الله، وقوانينها قوانين الطبيعة، وكلما استرشد الإنسان في حياته بهذه القوانين العقلية الطبيعية التي يقر بضرورتها ويعمل على استتبابها أصبح رجلاً حراً بأكمل

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ١٦.

و: آلان دو بوتون: عزاءات الفلسفة، كيف تساعدنا الفلسفة والحياة، ترجمة: بزن الحاج، دار التنوير، ص ص ٧١ - ٧٤

(٢) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ص ص ١٦، ١٧.

(٣) عثمان أمين: محاولات فلسفية، ص ١١٧.

معاني الحرية<sup>(١)</sup>. هذا فيما يتعلق بالصدّاقة. وهذه أيضاً دعوة لورانس فانين للعودة للأخلاق الإبيقورية والرواقية كعلاج فلسفي من أجل عيش أفضل.

أما فيما يتعلق بالصبر فيمكن أن نلخص فلسفة إبيكتيتوس في عبارته المشهورة: "احتمل وتزهد" يعني بذلك أن يدعو الإنسان إلى احتمال الأذى والصبر على المصيبة، وعلى جميع ما يكدر خاطر ويقلق البال، ثم الصبر على ما فاتنا، والزهد في الأشياء التي تخرج عن مقدورنا. فقد كان إبيكتيتوس أحد الرواقيين اليونانيين الذين أكدوا أن الفلسفة طريقة حياة، وليست مجرد فكرة أكاديمية. لقد كان معلماً متميزاً أو شاملاً. ترك بصماته كمؤلف ومفكر ومعلم. ولا تزال تعاليمه عن الحياة سارية في القرن الحادي والعشرين يعلمنا إبيكتيتوس أنه لا خير إلا العقل، وأي عمل غير عقلائي هو عمل شرير هذه هي الرواقية الكلاسيكية. وقد طور إبيكتيتوس هذا المفهوم من خلال استنتاجه أن أهم هدف في الفلسفة هو تنقية العقل من المشاعر المتقلبة والأهواء. مع الاحتفاظ بكرامة الإنسان والاستقلالية والنزاهة. ومن الآن فصاعداً اعقد العزم على أن تكون شخصاً ناضجاً يحرز تقدماً، وعلى الرغم من أنك لست سقراط بعد، يجب أن تعيش كشخص يريد على الأقل أن يكون "سقراط"، هذا ما دعا إليه إبيكتيتوس<sup>(٢)</sup>.

ولكن كيف يمكن لنا أن نرى آراء إبيكتيتوس على أنها علاج فلسفي؟

يرى إبيكتيتوس أننا مسؤولون عن انفعالاتنا. والانفعالات أحكام (أو تضرر أحكاماً) قبلناها بإرادتنا وصدقنا عليها باختيارنا. الانفعالات تقييمات، تقديرات، طرائق في إدراك العالم والحكم على الأشياء. والتأمل العقلي يتيح لنا مراجعة الأحكام المبتسرة حول ما رأيناه إهانة أو فقداناً، من شأن هذه المراجعات "المعرفية" أن تخلصنا من قبضة "الانفعالات" السلبية. مثال: الموت ليس مريعاً، ودائماً المريع هو الحكم بأن الموت مريع (المختصر ٥)<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع نفسه، ص ١١٧، ١١٨.

(٢) انظر: عثمان أمين: الرواقية، ص ٢٠٤. و: دالي كينجسلي: وعد إبيكتيتوس، ص ٣٧-٤١.

(٣) إبيكتيتوس: المختصر، دراسة وترجمة: عادل مصطفى، مؤسسة هنداي، ٢٠١٧، ص ١٤.



كما أن من شتمك أو ضريك لم يهتك، ودائماً الذي أهانك هو حكمك بأن هذه الأشياء إهانة (المختصر ٢). إذن يدعونا إيكيتيوس بتصحيح الفكر: حتى يصح الانفعال. إنها فكرة رواقية بسيطة تلقفها السيكولوجيون المعاصرون فجعلوا منها مدارس علاجية وطيدة وصيحات سيكوباتولوجية رائجة، تقوم على تغيير الانفعالات المرضية (الاكتئاب، القلق، الخوف، الموت ... إلخ). كما أن الاكتفاء بالذات، والسيادة على الذات هي الدرس الراقي الناجع ضد الروح المادية الاستهلاكية البائسة التي تسود المشهد المعاصر، حيث ترى الرواقية أن اللذة والمال والمجد أشياء غير مضمونة، والمراهن عليها خاسر وإن ربح. وفي ظل عالم متغير، علينا أن نظفر بالسعادة، وألا نتشبث بما هو بطبيعته عابر، وعلينا ألا نغنى بالأشياء، بل أن نستغنى عنها "أشرف الغنى ترك المنى". فالفضيلة خير في ذاتها، ألا تفضل أن تكون شريفاً على أن تكون غنياً؟ فالعبرة أن يصبح العزم على أمر صائب. والخير الوحيد هو الفضيلة<sup>(١)</sup>.

لقد كان إيكيتيوس مضرب الأمثال في التجلد والصبر على البلايا. كما ظل يلقي دروسه، بينما هو يعيش عيشة التقشف والبساطة، في منزل ليس فيه سوى حصير وحشية من القش ومصباح من الطين. كما كانت غاية الفلسفة عند إيكيتيوس هي غاية عملية أخلاقية، وهي أن ترشد الناس إلى طريق الحياة الصالحة، الطريق الذي يؤدي إلى اليوديمونيا Eudaimonia أي الحياة السعيدة المزدهرة. ومن ثم فإن الفلسفة عند إيكيتيوس هي فن الحياة<sup>(٢)</sup>. أو بالأحرى فن العيش الجيد، وهذا هو العلاج الفلسفي كما توضحه لورانس فانين.

خلاصة القول، كثيراً ما يطلق على وجهة النظر التي يتبناها الرواقي والأفعال التي يؤديها سعياً إلى الامتياز اسم "اتباع الطبيعة" أو "الحياة في انسجام مع الطبيعة". إنه على وعي دائم بموقعه وصفته وبالأفعال التي تليق بهما. وتقبل غير مشروط لقدره ومصيره، ولكي نحفظ أنفسنا في انسجام مع الطبيعة، فإن علينا أن ننتبه إلى شيئين: إلى

And: Mark Ahonen:university of Hebinki Finland,Ahonen Reasearch,٢٠١٨,p.١.

(١) إيكيتيوس: المختصر، ص ص ١٤، ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٥٠ - ٥٢.

أفعالنا بحيث تأتي استجاباتنا على نحو ملائم، وإلى العالم الذي نجتري فيه أفعالنا. ومعيار الفعل هو الحرية، فنحن لا نملك إلا حريتنا والحرية هي أن يتصرف المرء في أفكاره وإرادته بحيث لا يمكن أن يقهره أحد على غير ما يريد<sup>(١)</sup>.

أما فيما يتعلق بالاعتدال فيمكن شرحها على أنها أخلاق السعادة، حيث تحيل الفلسفة إلى أخلاق السعادة، فالإنسان يمتلك مبادئ داخلية (في باطنه) تثير فيه دوافع الفعل. ويتحقق هذا الأخير بفضل الإرادة أي بالنزوع الذي يدفع الإنسان إلى الاختيار، وترتبط البواعث التي تحدد الفعل بالمعرفة لأن العقل يقوم بغربلتها. وتكمن مهمته في تركيب دوافعه وبصايق على الإرادة كما يبين أفلاطون: "تتعقل النفس جيداً عندما لا يعكر صفوها أي شيء لا السماع ولا النظر ولا الألم ولا أي لذة، على العكس تتعزل النفس كلية في ذاتها، بأن تترك الجسم لكي تدرك جوهر الواقع"<sup>(٢)</sup>.

هنا بالضبط تمارس الفلسفة بوصفها إتياناً للحكمة، حيث يفترض البحث عن الحقيقة البعد عن الانفعالات لتجنيد التسامي نحو الحكمة، فالفعل يأتي عن طريق الحكمة وليس الانفعال، وهذا هو هدف الفلسفة. وهذا التجرد عن الانفعال يُعد نوعاً من التطهير، أي تطهير الفكر من الانفعالات (Catharsis)، وهذا التحرر يقتضي نوعاً من الجهد. ولذا فإن البعد عن الانفعال معناه أن نصل لفعل يتجلى فيه الاعتدال في القبول بأفكار سليمة على حساب كل ما هو مشهور متعصب. وهكذا فإن الحكمة تقتضي أن ينصرف العقل عن الطبيعة المتقلبة للترغبات، ويعزز الاعتدال تصرف العقل عندما يشترك مع ثلاث فضائل أخرى وهي: التعقل والقوة والعدل<sup>(٣)</sup>، تلك هي مهمة الفلسفة وقيمة التفلسف.

تتميز طبيعتنا بالقوة والجهد الذي هو وساطة بين الإرادة المحضة والفعل ذاته. وهنا يتعلق الأمر بإرادة خلاقة في القوة، ولكن هذه الإرادة تحتاج للاعتدال في الفعل، وهنا أيضاً يكمن العدل في التحكم في الذات وفي رغباتها، مما يتيح الحصول على فعل

(١) المصدر نفسه، ص ص ٦٤، ٧٠.

(٢) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ٨٩، ٩٠.

متوازن. وفي النهاية فإن التوازن هو نوع من التفلسف، حيث يكمن التفلسف في الانصراف بعزم عن الانفعالات الهدامة، وعن طبيعتنا العاطفية والانفعالية المفرطة لنبقى سادة ذواتنا وأفعالنا. وهنا يتعلق الأمر باعتبار الرغبة ليست طاقة تتحكم فينا، ولكنها عنصر دينامي يشجع على إنجاز خياراتنا. بهذا الاعتبار تدل الرغبة على الطاقة البشرية منظورًا إليها كقوة في الإنجاز. يكفي إذن أن يُجعل منها أداة دينامية في خدمة إرادتنا النيرة<sup>(١)</sup>.

من خلال ما سبق تبين لنا كيف أن الفلسفة توفر لنا أخلاق الفضيلة والصبر والاعتدال، وتحثنا عن البعد عن الانفعالات، وأن قيمة التفلسف تكمن في كون الفلسفة عملية، فهي فضائل نعيشها، وحياة نعيشها نحو الأفضل، وليست مجرد أقوال مجردة. ويمكن القول إن التفلسف هو أسلوب حياة يمثل علاجات ناجعة ما أحوجنا اليوم إليها لتصل إلى حالة من الطمأنينة والسلام النفسي. وهذا ينقلنا للحديث عن الطمأنينة كعلاج فلسفي. ولنرى ماذا قالت عنه لورانس قانين، وكيف تناولته في إطار فلسفي نستطيع العيش بواسطته على أفضل نحو.

بهذه الطريقة الجديدة في التفلسف، نحن إزاء فلسفة متجددة عن حكمة القدماء، لكنها فلسفة جديدة بالنسبة للمعاصرين، الكل وفق خيط ناظم هو إعادة الأدوار العلاجية للفلسفة بصفقتها حبًا نفسيًا وروحياً، يربط أغوار النفس بذروة الكوزموس (العالم). حيث تكشف الفلسفة أيضاً عن صلة الآلام بالتمثلات المغلوطة التي يحملها الكائن البشري حول ذاته، حول غيره وحول العالم. وتدعو الفلسفة الإنسان لأن يعيد التفكير في مشاريعه. بهذا المعنى نحن بصدد "فلسفة علاجية". تشتغل نصائحها بوصفها صيدلية ناجعة تعيد للإنسان بهجة الحياة، وتضع حدًا لحالته السقيمة. وعليه، إذا لم يكن الإنسان شيئاً آخر سوى أنه مشروع، فهو حر. ولذا فإن الفلسفة عند لورانس قانين علاج لتغيير النمط في التفكير، ومن ثم فهي علاج لتغيير نمط الفعل. تلك هي أهمية التفلسف كما

(١) لورانس قانين - فيرنا: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ص ص ٩٠ - ٩٣.

توضحها لورانس قانين، وأهمية كيف تتفلسف لتغدو الفلسفة ممارسة عملية، بل وعلاجية لسلوكنا وتفكيرنا<sup>(١)</sup>.

هذا وتدل الفلسفة إذن على علاج ممكن. فليس العناء هو افتقاد الإنسان لبعض الأشياء، وإنما المعاناة هي الظنون الباطلة. ومن يهوى الفلسفة الحقّة فإنه متحرر من كل رغبة شاقة ومؤلمة. وإنه لفارغ قول هذا الفيلسوف الذي لا يُشفى أية عاطفة بشرية. مثلما أن الطب لا نجاعة له عندما يعجز عن مطاردة المرض من الجسم، فإن الفلسفة لا قيمة لها إذا لم تطارد الهموم والعواطف من النفس. ومن ثم يُنتج العقل أحكامًا فعالة بما فيه الكفاية من أجل استئصال المشتقات المرضية من النفس واستبعادها<sup>(٢)</sup>. وهنا يبرز دور الفلسفة وقيمتها العملية.

قصارى القول ينبع الاضطراب من بعض التمثلات النفسية التي هي خاطئة وغير لائقة. ومن ثم فإن دور الفلسفة وقيمتها هنا هو التخلص من الرغبات الباطلة التي تمس النفس والظنون التي تنتاب النفس من الخشية من العيش. وهنا تدل الفلسفة على طب النفوس لأنها تطارد الرغبات الرديئة وتقضي على العواطف المدمرة بالاستعمال السديد للعقل. في النهاية، تؤكد لورانس قانين على أن ممارسة التجرد من المصائب تتيح للإنسان بأن يتعافى من المخاوف الوجودية، بل إن هذا العلاج الفلسفي هو بلوغ الطمأنينة<sup>(٣)</sup>.

الخاتمة:

تبين من خلال البحث أن دفاع لورانس قانين عن الفلسفة من شأنه أن يبين أن التفلسف لا سن له، وأن وراء إرادة النصح بممارسة الفلسفة لا تختفي معها فكرة تبسيط "التفلسف": الدهشة، التفكير، التثقيف، الوعي، الحرية، والفلسفة كعلاج من اضطرابات النفس، وتغيير المفاهيم، وترك القلق والوصول إلى الطمأنينة والسلام النفسي، هذا

(١) لورانس قانين - فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجات الفلسفية"، ص ص ١٤، ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ١١٨، ١١٩.

بالإضافة إلى إثراء المعرفة بقراءة القدماء، وهي كلها أفعال تتيح لفهم الفلسفة وإدراك أمثل لمعنى الوجود، والعالم، ومدى انفتاح الأنا على الآخر وعلى العالم، من حيث المشاركة وتفاعل الذوات، وذلك لإثراء الجانب الروحي بما يعتره من فن واتجاه نحو الألوهية.

هكذا يفلت الإنسان من الظنون العامة ويفكر بذاته ويظفر بإنسانيته. فالإنسان كائن عاقل، كائن من أجل الموت، من شأنه أن يضفي المعنى على حياته وأفعاله مثلما ترى لورانس قانين، فلا يبقى الإنسان حينئذ حبيس اليأس أو التراجع عن الحياة، كما لا يكون مندفعاً في قرار طائش، بل يبقى منتبهاً إلى الحياة، وإلى الآخر، وإلى العالم الذي يعيش فيه، ذلك العالم الذي يحيط به، ولذا فهو مسؤول تجاهه. فعندما يرتاح الإنسان في زمانه ويعي مسؤوليته، يكون مرتاحاً للغير، ويكون من ثم متسامحاً. ومن هنا تشكل ممارسة الفلسفة أداة ناجعة لعبور مختلف مراحل العمر والحياة. هكذا ينافس الإنسان الفيلسوف ويخلق سعادة الفيلسوف، وتلك هي قيمة الفلسفة، وقيمة أن نتفلسف.

نتائج البحث:

١- إن التفلسف هو ممارسة عملية للفكر، و محاولة في التساؤل حول المعرفة في مواجهة الجهل، وذلك، كما رأينا، عن طريق الدهشة. تلك الدهشة التي تدل على سلوك من التساؤلات يستطلع بها الوعي العالم، فالشخص الذي يتساءل هو الذي يعي بجهله، ويشكل هذا الأمر عينه أولية نحو طريق المعرفة. إذن تشكل الدهشة وعياً يجعل الإنسان لا ينظر في الاتجاه نفسه، بل يتحول بنظره عن الرؤية العامة، فيصبح التساؤل هو المشاركة في يقظة الفكر.

وهذا يجعلنا ننقل من "لماذا نتفلسف؟" إلى "كيف نتفلسف؟" أي كيف يصبح كل منا مشروعاً ووعياً وإرادة حية، وكيونة تتمتع بالطمأنينة والسعادة والأخلاق، وكيف تصبح الحياة نمطاً لحياة جيدة وعيش رغد. وهذا يتطلب تغيير نمط التفكير وكما تؤكد لورانس قانين: سعيد من لا ينظر في الاتجاه نفسه، من يتحول بنظره عن الرؤية العامة للظفر بالمعرفة.

٢- إن التفلسف يعني الفلسفة من أجل الفعل، أو ما نسميه بالفلسفة التطبيقية (العملية)، وليس من أجل الفكر فقط، إذ تقدم الفلسفة العملية عزاء لذلك الإنسان المهموم، ومن هو الإنسان المهموم عند لورانس قانين: إنه ذلك الإنسان المهموم بذاته ومستقبله ومصيره وبالعيش الجيد (بقراءات صائبة للحياة) أبعد ما تكون عن الانفعالات. وفيه يكون عزاء الفلسفة إذن؟ يكون العزاء في البعد عن الانفعالات، وتطهير الذات بالتححرر من هذه الانفعالات، فالعاطفة محرك الفعل، ومن ثم يكون العلاج الفلسفي في مقابل ما يعانيه الإنسان المهموم، والعلاج هو بلوغ الطمأنينة، إنه علاج تغيير نمط التفكير، الذي على أساسه تتحقق البهجة للإنسان، وكما توضح لورانس قانين أنه كلما كان الخلق غنيًا، كانت البهجة عميقة، فالبهجة التي يشعر بها الإنسان بهجة بديعة، خاصة إذا كان انتصار الحياة في كل المجالات هو الخلق. كما يكون عزاء الفلسفة للإنسان المهموم أيضًا في إثبات كينونته من ناحية، وفي العيش الرغيد من ناحية أخرى، فلم يجعل الإنسان من أجل التنازل عن كينونته، بل من أجل التحقق في ذلك الوجود، فلا يمكن تصور إنسان يتخلى عن التساؤل حول ذاته ومكانته في العالم ومسؤولياته تجاه الغير والبيئة... إلخ. فالإنسان مشروع. ولذا تدعو الفلسفة الإنسان في أن يعيد النظر في مشاريعه والتفكير في المستقبل، فالتفكير -كما ترى لورانس قانين- هو يقظة عيون الروح، حيث تشجع هذه اليقظة على التفكير بالذات، أي على التفلسف، ومن ثم تؤكد لورانس قانين أن التفلسف هو ممارسة عملية للفلسفة أي الفكر من أجل الفعل.

٣- تسعى الفلسفة إلى إعمال العقل، أو كما تعبر لورانس قانين: الاستعمال السديد للعقل، ولذا ترى أننا نتفلسف من أجل الحرية، ولكن سبل الحرية تدعو للوعي والفكر من أجل الوصول للكينونة، تلك الكينونة التي تتأكد في الصداقة، الأخلاق، الوعي، الانفتاح على الآخر. وكما ترى لورانس قانين أن الصداقة صلب الكينونة، لأنها تشمل أخلاق الاعتدال وهي أخلاق السعادة، فالعدل هو التحكم في الذات، وفي الانفعالات، مما يتيح الحصول على التوازن. ومن ثم فإن التفلسف يكمن في الانصراف بعزم عن الانفعالات الهدامة، لنبقى سادة نواتنا لا عبيد انفعالاتنا.

- ٤- هناك عدة أهداف من الممارسة الفلسفية توضحها لنا لورانس قانين، نذكر منها:
- اكتشاف الذات واكتشاف الحقيقة في التاريخ، والانتباه إلى العالم.
  - تكوين الإنسان وثقافته.
  - تعلم كيفية النجاح.
  - الاستعمال السديد للعقل والحكم والنقد والفعل.
  - الصبر على المعرفة باقتنائها، والصبر على الذات بتكوينها وثقافتها.
  - تطهير الذات من الحمق والجهل والاضطراب.
  - كيف يكون الإنسان إنساناً ويظفر بإنسانيته.
  - يؤدي أدواره ويتحمل مسؤوليته، بالصدق الخالص مع نفسه ومع الآخرين.
  - الطابع الكوني للفلسفة وعالميتها ودورها التتموي والمستدام.
  - الفلسفة تجعل الإنسان ينخرط في الوجود.
  - التفلسف هو يقظة الفكر.
  - سلوك فكري في البحث.
  - التفكير الدينامي: الذي يجعلك تفكر بذاتك، وتحسن ربط الأفكار فيما بينها، وتبدع طريقة جديدة، فلا يمكن تصور إنسان يتخلى عن التساؤل حول ذاته ومكانه في العالم ومسؤولياته تجاه الغير والبيئة ... إلخ.
  - التفلسف هو تعلم التفكير في أن تكون حراً في خياراتك، مستقلاً، وهذا يتطلب جهداً كبيراً.
  - اكتمال الإنسان بالفضائل والقيم والعمل من أجل نتائج يرضى عنها ويجني بها السعادة.
  - فهم الشرط الإنساني وفهم وضعيته الوجودية.

- التفلسف يبرز قيمة العمل. فمهما كان العمل روتينياً، لكنه ليس بعبث، فهو يطالب الإنسان بأن يكون منتجاً، متعدد الوظائف، وفي مستوى التقدم كما توضح لنا لورانس قانين.

٥- إن الحرية هي أصل الأخلاق، وهنا توضح لورانس قانين دور التفلسف. فالفلسفة هي تعلم التفكير، وهي فن أن تكون ممارسة الفلسفة عملياً. ولذا نطلق عليه (التفلسف) وعلى ذلك فأنت حر في خياراتك، تتخبط في الوجود، ولذا ننظر للفلسفة على أنها الحرية باعتبارها محركة للفعل، ومن ثم فهي أصل الأخلاق، لأنها تحيلنا إلى أخلاق السعادة، حيث تستوفي الأخلاق معناها وقيمتها في المسار الفعلي الوجودي. فأنا أمارس إرادتي الحرة. فالمهم عند لورانس قانين هو ممارسة الفلسفة والتدريب على التفكير من أجل عيش أفضل. ولذا فإن الأخلاق هي المسمى الآخر للحرية، وهذا يعني حرية التصرف، والاختبار، وحرية القرار ومن ثم المسؤولية وتحمل تبعات القرار. فالأخلاق الحقة هي التي تعلم المسؤولية الفردية والاجتماعية، وتربط الإنسان بذاته وبغيره.

٦- إن معنى الرؤية بعين الروح، كما توضحها لورانس قانين هي قضية الوعي، وكيف يكون الوعي انفتاحاً للذات على الآخر. فالوعي هو هدف قصدي لانكشاف الذات، وهذا يختص بأنطولوجيا الذاتية، أي الذات الفاعلة ومن ثم فإن الوعي هو أنطولوجيا الذاتية. وتؤكد لورانس قانين أن معرفة الذات غير معطاة للوعي مباشرة وأن شعار: "عرف نفسك بنفسك" يتطلب جهداً للاضطلاع بالبحث في أعماق كينونتنا من أجل الفعل، ومن أجل تحسين الذات. إن الفلسفة تجعل الإنسان على وعي بحضوره في العالم، حيث يجسد الإنسان كينونة الوعي القائمة على ربط علاقاته بغيره، مما يسمى الانفتاح على العالم، أي الانفتاح على الآخر عن طريق الفن والذي هو بصمة الروح على الطبيعة، حيث يحقق الأثر الفني الالتفات بين الحسي والروحي. وبهذا تسحرنا لورانس قانين بوجاهة أقوالها وبالوضوح الذي تفتح به حقل المعرفة للتعاليم الفلسفية الكبرى. فنحن بصدد رؤية إنسانية مشتركة. فالإنسانية كلها تتعكس في ذات الإنسان. كما أنه عندما يختبر ذاته ونقطة انطلاق إنسانيته، يجد أن الإنسانية كلها تعكس ذاته



ومن ثم فإن هدف المعرفة هو تجاوز الحدود المعرفية إلى فضاء يبرز فيه العقل، وتطغى فيه الحساسية والذوق مثل الفن والتجربة الروحية عمومًا. فالفن هو بصمة الروح على الطبيعة، حيث يحقق التفكير في الأثر الفني الاتفاق بين الحسي والروحي، وهنا يغدو التفكير يقظة عيون الروح، حيث تشجع هذه اليقظة على التفكير في الذات وعلى التفلسف.

٧- ترى لورانس قانين أن الفلسفة علاج نحو عيش أفضل، فالإنسان يفر من شرطه البائس، حيث يجد بهجة الحياة. والإنسان المهموم يختبر العالم، ويستسلم له، وفي النهاية يتعلم كيف يراه بشكل مغاير. فالرغبة في منح الحياة معنى خاص يشكل في ذاته علاجًا. خاصة إذا كان من دواعي العيش الرغيد التخلص من الخوف، والوعي بالأوجاع من أجل محاربتها، مما يحقق للإنسان التوازن في الجسد والطمأنينة في النفس، وهذه تغذية دينامية مرحة تشفيه من همومه. ولذا فالفلاسفة هم أطباء النفوس واسترداد الصحة، الذي تحدثت عنه لورانس قانين، هو استرداد الصحة في فن العيش باعتباره نظامًا فلسفيًا خاصًا يولد التوازن في الجسد والطمأنينة في الحاضر المعيش كما سبق القول. وهنا ترتبط الفلسفة الوجودية بالفلسفة العلاجية، فالإنسان مشروع حر، يحاول اقتراح علاج تغيير نمط تفكيره، وذلك لإيجاد كينونته، وهنا تعمل لورانس قانين على إعادة التفكير في الذات الفاعلة، وافتتاح الإنسان على الآخر، وعلى العالم، مما يجعله يدرك جوهر كينونته (وثرائه الباطني)، ثم يتجه نحو إنسانية مشتركة يتجاوز فيها حدود المعرفة إلى فضاء من الحساسية والذوق والفن والتجربة الروحية.

## المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

أ- المصادر المترجمة للعربية:

- ١- إيكيتيوس: المختصر، دراسة وترجمة: عادل مصطفى، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧.
- ٢- ألبير كامي: الإنسان المتمرد، ترجمة: نهاد رضا، منشورات عويدات، ط٣، بيروت، باريس، ١٩٨٣.
- ٣- -----: سوء التفاهم، ترجمة وتقديم: سامية أحمد أسعد، الدار القومية للطباعة والنشر، ديسمبر، ١٩٦٦.
- ٤- جان بول سارتر: الغثيان، ترجمة: سهيل إدريس، منشورات دار الآداب، بيروت، بدون تاريخ.
- ٥- -----: الوجود والعدم، بحث في الأنطولوجيا الظاهرية: ترجمة: عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الآداب، بيروت، ١٩٦٦.
- ٦- -----: الوجودية نزعة إنسانية، ترجمة: كمال الحاج، منشورات مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ١٩٨٣.
- ٧- رينيه ديكارت: انفعالات النفس، دراسات فلسفية، ترجمة وتعليق: جورج زينات، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٩٣.
- ٨- -----: مقال عن المنهج، ترجمة: محمود محمد الخضير، وزارة الثقافة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٦٨.
- ٩- لورانس فانين- فيرنا: الإنسان المهموم "العلاجيات الفلسفية"، ترجمة: محمد شوقي الزين، دار الروافد الثقافية، ط١، ٢٠٢٣.
- ١٠- -----: انظر وفكر .. من العين إلى الروح، ترجمة: محمد شوقي الزين، دار الروافد الثقافية، ط١، ٢٠٢٢.

- ١١- -----: لماذا نتفلسف؟ سبل الحرية، ترجمة: محمد شوقي الزين، دار الروافد الثقافية، ط١، ٢٠٢١.
- ١٢- لوكريتيوس: في طبيعة الأشياء، ترجمة: علي عبد التواب علي، صلاح رمضان السيد، سيد أحمد صادق، مراجعة وتقديم: عبد المعطي أحمد شعراوي، المركز القومي للترجمة، ط١، القاهرة، ٢٠١٨.
- ١٣- لوكيوس أنايوس سينيكا: محاورات السعادة والشقاء، ترجمة: حمادة أحمد علي، مكتبة الرافدين للمكتب الإلكتروني، آفاق للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠١٩.
- ١٤- موريس ميرلوبونتي: العين والعقل، ترجمة: حبيب الشاروني، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- ١٥- -----: فينومينولوجيا الإدراك، ترجمة: فؤاد شاهين، معهد الإنماء العربي.
- ١٦- هنري برجسون: الطاقة الروحية، ترجمة: علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٩٩.
- ١٧- -----: المعطيات المباشرة للشعور، ترجمة: كمال يوسف الحاج، منشورات كنوز الفكر العربي، بيروت، ١٩٤٥.
- ب- المصادر الأجنبية:

١٨- Albert Camus: The Myth of Sisyphus and other essays, trans by: Justin O'Brien, New York, Alfred A. Knoff, ١٩٥٥, Art in: Philosophy the Big questions, Edit by: Ruth J. Sample, Charles, W., Milles and ames P. Sterba, Blackwell publishing, U.S.A., ٢٠٠٤.

١٩- Gabriel Marcel: The Philosophy of existence, Books for libraries press, Plain view, New York, ١٩٦٩.

- ٢٠- Henri Bergson: Time and free will, "An essay on the Immediate Data of consciousness, Authorized Translation by: F. L. Pogson, Harper Turch books, The Academy library, New York, ١٩٦٠.
- ٢١- Jean Paul Sartre: Existentialism and Humanism, Trans by: Philip Mariet, Great Britain, ١٩٥٢.
- ٢٢- Maurice Merleau-Ponty: The primacy of perception, and other essays on phenomenological psychology, the philosophy of art, History and politics, translated by: James M. Edie, North western university press, ١٩٦٤.
- ٢٣- -----: The structure of behavior, translated by: Alden L. Fisher, Beacon Press, Boston, U.S.A., ١٩٦٧.

ثانيًا- المراجع:

أ- المراجع باللغة العربية:

- ٢٤- آلان دو بوتون: عزاءات الفلسفة، كيف تساعدنا الفلسفة في الحياة، ترجمة: يزن الحاج، دار التنوير، بدون تاريخ.
- ٢٥- ج. بنروي: مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ج١، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مراجعة: محمد ثابت الفندي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤.
- ٢٦- حبيب الشاروني: بين برجسون وسارتر، أزمة الحرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.
- ٢٧- -----: فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤.

- ٢٨- -----: الوجود والجدل في فلسفة سارتر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦.
- ٢٩- دالي كينجسلي: وعد إيكنتيتوس "دليل أولي لتاريخ وفلسفة الرواقيين"، ترجمة: كرار صباح القره جولي، بدون دار نشر، وبدون تاريخ.
- ٣٠- زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج ١، مكتبة مصر، ١٩٦٨.
- ٣١- عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦.
- ٣٢- عبد الغفار مكاي: ألبير كامي، محاولة لدراسة فكره الفلسفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤.
- ٣٣- عثمان أمين: ديكرت، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٤، القاهرة، ١٩٥٧.
- ٣٤- -----: الفلسفة الرواقية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥.
- ٣٥- -----: محاولات فلسفية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٣.
- ٣٦- فرديناند ألكيه: معنى الفلسفة، ترجمة: حافظ الجبالي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩.
- ٣٧- لوك فاليري: تعلم الحياة (سأروي لك تاريخ الفلسفة)، ترجمة: سعد الوالي، مراجعة: زهيدة درويش، بدون تاريخ، بدون دار نشر.
- ب- المراجع باللغة الأجنبية:

٣٨- Banicki konrad: philosophy as therapy Towards a conceptual model, Philosophical Papers, vol ٤٣, Routedge, south Africa, ٢٠١٤.

٣٩- Beacon Press: selections of Merleau-Ponty, reprinted By: Permission of Beacon Press.

- ٤٠- Bellarmine U .Nagi; philosophical counselling, praxis and pedagogy, vol (٩), ٢٠١٣.
- ٤١- Bryan A. Smyth: Merleau- Ponty and the realization of philosophy, London, New Delhi, New York, ٢٠١٤.
- ٤٢- Charles Taylor: Merleau Ponty and the Epistemological picture, Art in: Taylor carnon and Mark B. H. Hanson: Companion to Merleau-Ponty, Cambridge University, ٢٠٠٥.
- ٤٣- Donald Robertson : Stoic Altitudes scale, posted; on jaullary ٢١, ٢٠١٣.
- ٤٤- Elijah Akinbod: Jean Paul Sartre's existential freedom, International Journal of European Studies, Science Publishing Group, Ekiti State University, Ekiti, Nigeria, Vol (٧), No (١), ٢٠٢٣.
- ٤٥- Eric Mahews: Merleau-Ponty, A guide for the pre plexed: Manschester Printed and Bound in Great Britain, ٢٠١٠.
- ٤٦- Fred Evans and Leonard Lawlor: Chiams Merleau-Ponty's Notion of flesh, sunny series in contemporary continental philosophy Dennis J. Schmidt, editor state university, New York, ٢٠٠٠.
- ٤٧- Jacque Chevalier: Henri Bergson, Authorized translation by: Lilian a Clare, London, ١٩٢٨.
- ٤٨- Lydia Goher: Understanding the engaged philosophy: On Politics philosophy and art, Art in: Taylor Canon and Mark. B.

- H. Hanson: Companion To Mperleau. Ponty, Cambridge University, ٢٠٠٥.
- ٤٩- Mark A. Warthall: Reason and Canses, Ant in: Taylor carnon and Mark B. H. Hanson: a companion to Merleau-Ponty, Cambridge University, ٢٠٠٥.
- ٥٠- Marke Ahonen: University of Hebiniki finland, Ahonen Research, article, ٢٠١٨.
- ٥١- Scott Nathan A: Mirrors of man in existentialism, New York, Clevel and London, ١٩٧٨.
- ٥٢- Taylor Carnon: Sensation, Judgment and the phenomenal field, Art in, Taylor Carnon and Mark. B. H. Hanson: Companion to Merleau-Ponty, Cambridge University, ٢٠٠٥.
- ٥٣- Williams S. Hanrick: An Existential phenomenology of Law: Maurice Merleau-Pinty, spriner-science, Business Media, B. V., Libaray of Banicki konrad: philosophy as therapy Towards a conceptual model, Philosophical Papers, vol ٤٣, Routedge, south Africa, ٢٠١٤.

ثالثاً- الموسوعات:

أ- الموسوعات الأجنبية

- ٥٤- Encyclopedia of Philosophy, Vol (٣), Paul Edward, Editor in chief, London, New York, ١٩٦٠. Art: Existentialism.

٥٥- Routledge Encyclopedia of Philosophy, general editor,  
Edward Craige, London, New York, ١٩٩٨ . Art:Existentialism.

ب- الموسوعات العربية

٥٦- م. روزنتال، ب. يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، ط ٧،  
بيروت، ١٩٩٧، مادة (الوعي).